نحـــو عـــلم اجتمـــاع تنـــويـــري
Towards an enlightened sociology
للدراسـات والأبحـاث الإنسانية والسوسيولوجية



التنشئة الاجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية

د. حســام الـدين فيـاض

باحث وأكاديمي سوري

الطبعة الثانية 2024

نحــو عـــلم اجتمـــاع تنــويــري

Towards an enlightened sociology

الدراســات والأبحــاث الإنسانية والسوسيولوجية

نحـــو عـــــلم اجتمـــــاع تنـــويـــري

Towards an enlightened sociology

الدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

• تـأليف د. حســـام الـدين فيـاض الأســـتـاذ المســـاعـد في النظريـة الاجتماعية المعاصرة

التنشئة الاجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية

• الناشـــر نحـــو عـلـــم اجتمـــاع تنـــويري للدراســـات والأبحـــاث الإنسانية والسوسيولوجية

• ماردين - الطبعة الثانية منقحة ومزيدة - لعام 2024

• كتاب إلكتروني - عدد الصفحات (148) - القياس (16×22)

• @ enlightenment980@gmail.com

فهرس الموضوعات

الفصل الرابع

المواطنة تربية وممارسة

" التنشئة الاجتماعية هي الجسر الذي يربط الفرد بالمجتمع، وتمكنه من فهم دوره ومكانه ضمن شبكة العلاقات الإنسانية "

" الأسرة والمجتمع هما المرآة التي يرى فيها الفرد ذاته، فالتنشئة الاجتماعية تمنحه أدوات فهم ذاته وعلاقته بالآخرين "

" القيم والمعايير التي يغرسها المجتمع في أفراده منذ الطفولة، هي الأساس الذي يقوم عليه استقرار المجتمع واستمراريته "

" أسلوب المعاملة الوالدية السوية هو المدرسة الأولى للفرد، حيث يتعلم من خلالها مفاهيم العدالة، التعاون، والموازنة بين الحقوق والواجبات "

" كل أسلوب والدي يترك بصمة في سلوكيات الطفل وطريقة إدراكه للعالم "

د. حسام الدين فياض

المقدمة

تُعد **التنشئة الاجتماعية** من العمليات **المركزية** التي تشكل حياة الأفراد والمجتمعات، إذ تمثل الوسيلة الأساسية التي من خلالها يتعلم الفرد **القيم والمعايير والسلوكيات المقبولة اجتماعياً.**

وتشير **الدراسات السوسيولوجية** إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية ليست مجرد **نقل معرفي**، بل هي عملية تحويل الفرد من الكائن بيولوجي إلى كائن **اجتماعي**، أي إنها **عملية تفاعلية ديناميكية**، تعكس تأثير البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع، وتساهم في صياغة **الهوية الفردية والجماعية** عبر تفاعل مستمر بين الفرد وبيئته الاجتماعية.

فالهوية، في هذا الإطار، **ليست خاصية ثابتة، بل هي نتاج لعلمية التطبيع الاجتماعي المستمر**، حيث تتشكل استجابةً للعلاقات الاجتماعية، والأدوار الثقافية، وقوى السلطة الموجهة للفرد منذ **الطفولة المبكرة.**

في هذا السياق، تلعب **الأسرة وأساليب المعاملة الوالدية** دوراً جوهرياً في تشكيل **السمات النفسية والاجتماعية** للفرد، إذ **تمثل البيئة الأولى التي يختبر فيها الطفل قواعد التفاعل الاجتماعي**

وفهم السلطة. فالمعاملة **الوالدية السوية والمتوازنة**، التي تجمع بين **الحزم والحب**، تتيح للطفل تطوير مهارات التكيف الاجتماعي، بناء الثقة بالنفس، وتنمية الهوية المتماسكة، كما تساعده على التفاعل بشكل إيجابي مع مؤسسات المجتمع وقيمه.

بالمقابل، فإن **المعاملة الوالدية الخاطئة**، سواء أكانت **صارمة مفرطة، متساهلة مبالغ فيها، أو متذبذبة وغير مستقرة**، تؤدي إلى عرقلة عملية التنشئة، **فتتأثر قدرة الطفل على فهم نفسه، وعلاقاته الاجتماعية، وإدراكه لموقعه ضمن البنى الاجتماعية.**

وفي هذا السياق، يؤكد لنا **المنظور السوسيولوجي** أن هذه الأساليب الخاطئة لا تؤثر على الفرد فحسب، بل تعكس كذلك نماذج السلطة والقيم المجتمعية، حيث تنتقل أنماط السيطرة والتفاعل الاجتماعي من الأسرة إلى مستويات المجتمع الأوسع، **بما يساهم في إعادة إنتاج البنى الاجتماعية أو في تفكيكها.**

كما يشير **المنظور السوسيولوجي** إلى أن **العلاقة** بين **التنشئة الاجتماعية والمعاملة الوالدية** تشكل **نقطة التقاء حرجة بين الفرد والمجتمع.** فالطفل، أثناء عملية التنشئة، يتعلم كيف **يتفاوض مع التوقعات الاجتماعية، يستوعب أنماط السلطة، ويبلور هويته الاجتماعية في مواجهة أو توافق مع القيم الثقافية السائدة.** ومن

هذا المنطلق، يصبح فهم أساليب التنشئة السوية والخاطئة مفتاحاً لفهم ديناميات المجتمع، تماسكه أو هشاشته، وعمليات نقل القيم بين الأجيال. لذا، فإن دراسة هذه العلاقة لا تكشف فقط عن تطور الفرد، بل تقدم **رؤية سوسيولوجية معمقة لمظاهر التفاعل الاجتماعي**، تأثير البنى الأسرية على **الهوية الثقافية**، وكيفية تشكيل المجتمع لأفراده منذ المراحل الأولى من حياتهم.

بناءً على **الأهمية المحورية للتنشئة الاجتماعية وأساليب المعاملة الوالدية في تكوين الأنماط السلوكية وبناء الشخصية الإنسانية للفرد**، يركز هذا الكتاب على دراسة هذا الموضوع من **منظور سوسيولوجي متكامل، وتحليل أبعاده المختلفة بعمق**، لنقدم فهم شامل **للتفاعلات الاجتماعية** بين **الفرد والأسرة والمجتمع** في سياق **الحياة المعاصرة** مع استعراض **مشكلة العنف الأسري، وظاهرة المواطنة باعتبارها تربية وممارسة.**

ماردين في 2024/11/17

د. حسام الدين فياض

الفصل الأول
في مفهوم التنشئة الاجتماعية
(رؤية تحليلية)

إن سـلامة المجتمع وقوة بنيانه ومدى تقدمه وازدهاره وتماسـكه مرتبط أشـد الارتباط بسـلامة الصحة النفسـية والاجتماعية لأفراده، فالفرد داخل المجتمع هو صانع المسـتقبل وهو المحور والهدف والغاية المنشـودة. فما حول هذا الفرد من إنجازات وتخطيطات ليسـت أكثر من تقدير لمدى فعالية هذا الفرد، ولهذا فإن المجتمع الواعي هو الذي يضـع نصـب عينه قبل اهتماماته بالإنجازات والمشـاريع المادية الفرد كأسـاس لازدهاره وتقدمه الاجتماعي. ولما كان الكائن البشـري عند ميلاده عاجزاً عن مواجهة حياته وتصريف شـؤونها، ثم بالتدريج يندمج في عملية طويلة ومعقدة تؤهله لأن يتعلم كيف يتعايش مع مجتمعه. هذا ما نطلق عليه **بعملية التنشئة الاجتماعية.**

وتعـد عمليـة التنشـئـة الاجتمـاعيـة من أقـدم العمليـات في **المجتمع البشـري**[1]، وهي سـمة مميزة لكل المجتمعات البشـرية في الماضـي والحاضـر، سـواءً أكانت بدائية أم نامية أم متحضـرة (متقدمة). ويتم من خلال هذه العملية ملاءمة سـلوك الفرد ليتطابق مع توقعات الجماعة التي ينتمي إليها

[1] لمزيد من القراءة والاطلاع حول **مفهوم المجتمع البشـري** انظر: حسـام الدين فياض: **المدخل إلى الاجتماع – من مرحلة تأصـيل المفاهيم إلى مرحلة التأسـيس**، مكتبة الأسـرة العربية، إسـطنبول، سـلسـلة نحو علم اجتماع تنويري، الكتاب: الثاني، الجزء الأول، ط1، 2021، ص(62-66).

والمحافظة على بقاء المجتمع واستمراريته من خلال نقل ثقافته ومعاييره وضوابطه السلوكية من جيل إلى آخر، وتحقيق التوازن والتماسك في بيئة اجتماعية تتسم بالتغير وعدم الثبات النسبي عبر المستجدات المتلاحقة، كما تهدف هذه العملية بشكل أساسي تحويل الفرد من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي وفرد ناضج يعي معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها، بحيث يصبح قادراً على ضبط انفعالاته والتحكم في إشباع حاجاته.

ومن الجدير بالذكر أن التنشئة الاجتماعية كعملية مستمرة لا تقتصر فقط على مرحلة عمرية محددة وإنما تمتد من الطفولة، **فالمراهقة***، فالرشد وصولاً إلى الشيخوخة ولهذا فهي عملية مستمرة حساسة لا يمكن تجاوزها في أي مرحلة لأن لكل مرحلة تنشئة خاصة تختلف في مضمونها وجوهرها عن سابقتها، ولا يكاد يخلو أي نظام اجتماعي صغيراً كان أم كبيراً وأي مؤسسة رسمية أو غير رسمية من هذه العملية، ولكنها تختلف من واحدة إلى أخرى بأسلوبها لا بهدفها. ومن أبرز مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة، التي تعتبر البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد وتبنى فيها شخصيته

---

* **المراهقة** هي العمر الفاصل بين **الطفولة والرشد** (10-19 سنة)، وهي مرحلة **فريدة وتكوينية** تنقل بالفرد من **مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد والبلوغ**، وتحدث في هذه المرحلة مجموعة من **التغيرات الجسدية والنفسية**، ويمكن جمل هذه التغيرات بتغيرات جسمانية ونفسية وعقلية واجتماعية، كما أن هذه المرحلة **تغير الطفلة إلى امرأة والطفل إلى رجل**. يجب الانتباه أن التغيرات التي تطرأ على الفرد في مرحلة الطفولة والرشد بطيئة جداً، بينما التغيرات التي تطرأ في مرحلة المراهقة سريعة بشكل كبير، ولعل النمو الجسدي هو أكثر التغيرات الواضحة على الفرد، كما يعد **النمو الجنسي هو سيد النمو الجسدي** في هذه المرحلة، ومن التغيرات الجسدية في هذه المرحلة تغير الأعضاء التناسلية، ونمو الغدد، وتغير الصوت حيث إن صوت الإناث يصبح أكثر رقة، بينما الذكور يصبح صوتهم أكثر خشونة وحدة، وأيضاً نمو الشعر في بعض مناطق الجسم.

الاجتماعية باعتبارها المجال الحيوي الأمثل للتنشــئة الاجتماعية والقاعدة الأســاســية في إشــباع مختلف حاجات الفرد المادية منها والمعنوية بطريقة تســاير فيها المعايير الاجتماعية والقيم الدينية والأخلاقية، كما تلعب مؤسـسـات التنشـئة الاجتماعية الأخرى كالمدرسـة، ودور العبادة، والجامعة، وسـائل الإعلام والاتصـال، دوراً أسـاسـياً في إتمام وتوجيه عملية التنشـئة الاجتماعية في إطار تكاملي يحقق الانسجام القيمي والاجتماعي داخل المجتمع.

أولاً- تعريف مفهوم التنشئة الاجتماعية[2]:

1- **لغوياً**: تنشئة: (اسم) مصدر نشّأَ. نشّأَ: (فعل) أي نشَّأَ ينشِّئ، تَنْشِئةً، فهو مُنشِّئ، والمفعول مُنشَّأ. نشَّأ الصبي: أي ربَّاه وهذّبه وعلَّمه. أي ارتفع عن حد الصبا وبلغ الإدراك، ونشأ في بني فلان أي تربى بينهم. وقد عرف **أبو القاسم الأصفهاني** معنى التنشئة لغوياً: نشأ النشء، والنشأة إحداث الشيء وتربيته، والإنشاء هو إيجاد الشيء وتربيته.

2- **اصطلاحاً**: التنشـئة الاجتماعية ليسـت بالاختراع العلمي الحديث، بل هي عملية قديمة مارسـتها المجتمعات الإنسـانية منذ القدم. وقد اهتم بمفهوم التنشـئة الاجتماعية علماء النفس والانثروبولوجيا والاجتماع كل حسـب توجهاته ومنطلقاته النظرية والمنهجية، وقد أطلقوا عليه تسـميات مختلفة كالتعلم **الاجتماعي، والاندماج الاجتماعي، والتطبيع الاجتماعي.**

---

[2] لمزيد من القراءة والاطلاع انظر: أحمد محمد الزعبي: **أسس علم النفس الاجتماعي**، زهران للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص(97 وما بعدها).

وتعلو التنشـئة عن كونها مجرد منهاج للتعلم الرسـمي لأنها تشـتمل على اكتساب المواقف والقيم والسلوكيات والعادات والتقاليد والمهارات. وتنتقل للكائن البشري عن طريق الأسرة بشكل أساسي وفيما بعد عن طريق المدرسة ومجموعة الرفاق ووسائل الاتصال الإعلامي ومواقع التواصل الاجتماعي. كما أن مضامين الأشكال المختلفة للتنشئة ليست منفصلة عن بعضها البعض، لكنها في بعض الأحيان لا تعمل بشكل منسجم. لذا يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد ذاته تعد عملية معقدة إلى حد بعيد، وتختلف بشكل ملحوظ من ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر.

أما عن **تعريف مفهوم التنشـئة الاجتماعية** نجد أنه لا يوجد اتفاق بين **علماء الاجتماع والتربية** على تعريف موحد وشامل لمفهوم التنشئة الاجتماعية بسبب اختلاف منطلقاتهم النظرية والمنهجية في رؤيتهم وتحليلهم وتفسيرهم لمفهوم التنشئة الاجتماعية. عليه سنحاول استعراض بعض التعاريف لتكوين تعريف **جامع شامل ليس بالمناع**، وهي كالآتي:

يعرف **تشـيلد** مفهوم التنشـئة الاجتماعية " بأنها العملية الكلية التي يُوَجّه بواسطتها الفرد إلى تنمية سلوكه الفعلي في مدى أكثر تحديداً، وهو المدى المعتاد والمقبول طبقاً لمعايير الجماعة التي ينشأ فيها ".

أما **اميل دوركايم** فإنه يعرف التنشـئة الاجتماعية بأنها " عملية استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع ".

ويعتقد **بارسونز** أنها عبارة عن " عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة لا نهاية لها ". كما يعرف **أوجبرن و نمكوف** التنشئة الاجتماعية على " أنها العملية التي يتحول من خلالها الأفراد إلى أناس في المجتمع. ويذهب **روبرت دون وجيري** " بأنها عملية تعليم المعتقدات والقيم وهي عملية تجعل الطفل مسؤولاً وعضواً مقتدراً في المجتمع ".

أما **مصطفى حدية** يرى " أنها عملية استدخال للمعايير الاجتماعية كجزء من الشخصية وتعبير عن الهوية، فالفرد خلال تنشئته يبني ويكون تفكيره الاجتماعي كتمثلات حول الذات في علاقتها بالآخر والمحيط الاجتماعي، فعملية البناء هذه يمكن فهمها على أنها المجال الداخلي والإجرائي للفرد أي حصيلة الصور والمفاهيم والأحكام المتعلقة بالذات والمحيط الاجتماعي.

ويشير **عبد الرحمن العيسوي** إلى التنشئة الاجتماعية على أنها " العملية التي تتشكل من خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته الراهنة وسلوكه لتكون متناغمة مع ما يعتبره المجتمع مرغوباً لأدواره الراهنة والمستقبلية في المجتمع ".

ويتضح من العرض السابق أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة، تتضمن من جهة كائناً بيولوجياً له تكوينه الخاص واستعداداته المختلفة، ومن جهة أخرى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي

تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ومن جهة ثالثة تفاعلاً ديناميكياً مستمراً بين التنشئة والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجياً.

وتتفق أغلب التعريفات حول الهدف الأساسي من التنشئة الاجتماعية والذي يتمثل في تشكيل الكائن البيولوجي وتحويله إلى كائن اجتماعي.

من خلال ما تقدم يمكننا **تعريف التنشئة الاجتماعية " بأنها العملية التي يتم من خلالها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل عن طريق تعليم الفرد منذ نشأته المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والأعراف والمهارات في المجتمع الذي ينتمي إليه حتى يستطيع التكيف مع أفراده من خلال ممارسته لأنماط من المعايير والأدوار المقبولة اجتماعياً لتجعل منه عضواً فاعلاً ومنفعلاً داخل أسرته ومجتمعه، ويشكل التفاعل الاجتماعي جوهر عملية التنشئة الاجتماعية ".**

ثانياً- خصائص التنشئة الاجتماعية:

بناءً على ما تقدم يمكن لنا استخلاص **الخصائص التالية التي تتسم بها التنشئة الاجتماعية**، وهي كالآتي:

1. هي عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.
2. التنشئة الاجتماعية ممتدة عبر التاريخ.
3. هي عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات البدائية منها، والنامية، والمتقدمة.

4. هي عملية تلقائية، أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع.
5. التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.
6. يتحول الفرد عبرها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناجح يقدر معنى المسؤولية الاجتماعية.
7. تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع.
8. هي عملية لا يقتصر القيام بها على الأسرة فقط، لكن هناك مؤسسات أخرى مثل: (**الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، ودور العبادة، ووسائل الإعلام، ومو اقع التواصل الاجتماعي**).
9. التنشئة الاجتماعية ليست ذات قالب أو نمط واحد جامد وإنما يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويرجع ذلك إلى أنها عملية تتأثر بالكثير من العوامل المجتمعة كثقافة المجتمع ونوعيته (بدو، ريف، حضر... إلخ) والعوامل الأسرية، كالوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي للأسرة، وعدد الأبناء في الأسرة، وحجمها، وترتيب الطفل فيها، واتجاهات الوالدين نحو تنشئة أبنائها، وغير ذلك من العوامل الأخرى.

10. التنشـــئة الاجتماعية لا تعني صـــب أفراد المجتمع في بوتقة واحدة بل تعني اكتسـاب كل فرد شـخصـية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.

ثالثاً- العوامل العامة المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية:

في واقع الأمر تختلف شـــدة تـأثير تلـك العوامـل على عمليـة التنشـــئـة الاجتمـاعيـة داخـل المجتمع الواحـد، ومن مجتمع لآخر تبعـاً للســمـات والخصـائص التي يتميز بها. وعلى العموم تنقسـم تلك العوامل إلى مجموعتين أسـاسيتين، وهما كالآتي:

المجموعـة الأولى **العوامـل الـداخليـة** وتشـــمـل كلاً من: **الأســـرة، طبيعـة العلاقـات الأســـريـة، الـدين، الوضـــع الطبقي، الوضـــع الاقتصـــادي والاجتماعي، المستوى التعليمي والثقافي، النوع الاجتماعي (الجنوسة)**:

1- **الأســـرة:** هي الوحـدة الاجتمـاعيـة التي تهـدف إلى المحـافظـة على النوع الإنسـاني، فهي أول ما يقابل الإنسـان، وهي التي تسـهم بشكل أسـاسي في تكوين شـــخصـــية الطفل من خلال التفاعل والعلاقات بين الأفراد، لذلك فهي أولى العوامل المؤثرة في التنشـئة الاجتماعية، ويؤثر حجم الأسـرة في عملية التنشـئة الاجتماعية ولا سـيما في أسـاليب ممارسـتها حيث إن تناقص حجم الأسـرة يعد عـاملاً من عوامل زيادة الرعاية المبذولة للطفل.

2- **طبيعة العلاقات الأســـرية:** تؤثر العلاقـات الأســـرية في عملية التنشـــئة الاجتماعية، حيث إن السـعادة الزوجية تؤدي إلى تماسـك الأسـرة، مما يخلق

جواً يســـاعد على نمو الطفل بطريقة متكاملة. وعلى العكس من الأســـرة التي تعاني من **التفكك الأسري أو الطلاق النفسي.**

3- **الـديـن:** يؤثر الـديـن بصـــورة كبيرة في عمليـة التنشـــئـة الاجتماعيـة، وذلك بســبب اختلاف الأديان والطِباع التي تنبع من كل دين. لذلك يحرص الإســلام على تنشئة أفراده بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والقدوة الصالحة لسلف الأمة ومن تبعهم بإحسان.

4- **الوضـــع الطبقي:** تعد الطبقة التي تنتمي إليها الأســـرة عاملاً مهماً في نمو الفرد، حيث تساهم إلى كبير في تشكيل شخصية الطفل وتطلعاته الاجتماعية والثقافية والاقتصـــادية، فالأســـرة التي تنتمي إلى الطبقات العليا ســـيختلف أسـلوب تنشـئتها حكماً عن الأسـرة التي تنتمي إلى الطبقات الوسـطى أو الدينا وذلك حيث الأسلوب لا الهدف.

5- **الوضـــع الاقتصـــادي والاجتماعي:** أكدت العديد من الدراســـات أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين الوضـــع الاقتصـــادي والاجتماعي للطفل وبين الفرص التي تقدم لنمو الطفل، ويعتبر الوضع الاقتصادي أحد أهم العوامل المسؤولة عن شخصية الطفل ونموه الاجتماعي إذا ترافق مع التوجيه البناء والصحيح.

6- **المســـتوى التعليمي والثقـافي:** يؤثر ذلـك من حيـث مـدى إدراك الأســـرة لحاجات الطفل وكيفية إشـــباعها والأســـاليب التربوية المناســـبة للتعامل مع الطفل.

7- **النوع الاجتماعي (الجنوســـة)**[*]: حيث إن أدوار الذكر تختلف عن أدوار الأنثى، فالطفل الذكر تنمى في داخله المســؤولية والقيادة والاعتماد على النفس، في حين أن الأنثى في المجتمعات الشــرقية خاصـــة لا تنمى فيها هذه الأدوار، كما أن ترتيب الطفل في الأســرة كطفل الأول أو الأخير أو الأوســط له علاقة بعملية التنشــئة الاجتماعية ســواء بالتدليل أم بعدم خبرة الأســرة بالتنشئة وغير ذلك من العوامل.

---

[*] ظهر مصطلح " **الجندر** " في السبعينيات من القرن العشرين المنصرم والـ" **جندر** " (**Gender**) كلمة إنجليزية تنحدر من أصــل لاتيني، وتعني في الإطار اللغوي "جينس" (**Genus**)؛ أي: الجنس من حيثُ الذكورة والأنوثة، وكانت آن أوكلي هي التي أدخلت المصــطلح إلى عِلم الاجتماع؛ وتوضــح أوكلي أن كلمة "ســكس" (**Sex**)؛ أي: الجنس، تشـير إلى التقسـيم البيولوجي بين الذكر والأنثى، بينما يشـير النوع "**الجندر**" إلى التقسـيمات الموازية وغير المتكافئة اجتماعياً إلى الذكورة والأنوثة.

ومفهوم " **الجندر** " يوضــح الفروق بين الرجل والمرأة الحاصــلة من الدور الاجتماعي المنوط بهما، والمنظور الثقافي والوظيفة لكل منهما، وهذه الفروق هي نتاج لعوامل دينية وثقافية، وســياســية واجتماعية، أي: إنها فروق صنعها البشر عبر تاريخهم الطويل، وهي فروق يمكن تجاوزها في إطار المساواة بين الرجل والمرأة في حين لا يمكن فعل ذلك في الفروق الفيزيولوجية بين الرجل والمرأة التي تقف حاجزاً استفهامياً أمام مساواة مطلقة.

وفي **الموســوعة البريطانية** عُرِّف الجندر بأنه شــعور الإنســان بنفســه كذكر أو أنثى... ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شــعور الإنســان بخصــائصــه العضــوية، ولا يكون هناك توافق بين الصــفات العضــوية وهويته الجندرية، إن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة، بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية، وتتغير وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية، كلما نما الطفل.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المفهوم احتل مساحة واسعة في **تاريخ الغرب الحديث والقديم**. حتى إن عدداً من المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا يردون ولادته إلى المراحل الأولى للحضــارتين اليونانية والرومانية. إلا أن بروز هذا المصـطلح في الأزمنة الحديثة ترافق مع ولادة الحداثة التي بدأت مســارها مع نهايات القرون الوســطى، ثم تطورت مع عصــر النهضــة والثورة الصــناعية في أوروبا. أما في الحقبة المعاصــرة فقد قطعت النقاشــات حول قضية الجندر وحقوق المرأة أشـواطاً متقدمة. فإلى جانب المنظمات النسـوية الحقوقية والبيئية نشـأت تيارات اجتماعية وسياسية في أوروبا لتنخرط في شبكات الضغط على الحكومات والمنظمات الدولية إلى درجة تحولت فيها المســألة النســوية إلى قضــية لها تأثيرات جدية على نطاق عالمي. غير أن هذه التأثيرات لم تتوقف عند شـعارات الدفاع عن حقوق المرأة، وإنما وصلت في كثير من الأحيان إلى إصـدار تشـريعات حكومية أسـهمت في زعزعة أنظمة القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية كقوانين إباحة المثلية وسواها.

أما المجموعة الثانية فإنها تمثل **العوامل الخارجية** وتشمل كلاً من: **المؤسسات التعليمية، جماعة الأقران، دور العبادة، ثقافة المجتمع، الوضع الاقتصادي الاجتماعي للمجتمع، وسائل الإعلام ومو اقع التواصل الاجتماعي**:

1- المؤسسات التعليمية: وتتمثل في دور الحضانة والمدارس والجامعات ومراكز التأهيل المختلفة.

2- **جماعة الأقران:** حيث الأصدقاء من المدرسة أو الجامعة أو النادي أو الجيران وقاطني المكان نفسه وجماعات الفكر والعقيدة والتنظيمات المختلفة.

3- **دور العبادة**: حيث تقوم دور العبادة بدور فعال في تربية الطفل وتشكيل شخصيته وتنشئته الاجتماعية، حيث تقوم على تعليم الفرد والجماعة التعاليم والمعايير الدينية التي تمد الفرد بإطار سلوكي معياري يؤدي إلى توحيد السلوك الاجتماعي.

4- **ثقافة المجتمع**: لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة له والتي تكون لها صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنه من الأفراد، لذلك فثقافة المجتمع تؤثر بشكل أساسي في التنشئة وفي صنع الشخصية الوطنية.

5- **الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع:** حيث إنه كلما كان المجتمع أكثر هدوءاً واستقراراً ولديه الكفاية الاقتصادية أسهم ذلك بشكل إيجابي في التنشئة الاجتماعية، وكلما اكتنفته الفوضى وعدم الاستقرار السياسي

والاقتصادي كان العكس صحيحاً كما هو في حالات الحروب السياسية والصراعات الأهلية والطائفية.

6- **وسائل الإعلام ومو اقع التواصل الاجتماعي:** لعل أخطر ما يهدد التنشئة الاجتماعية الآن هو الغزو الثقافي الذي يتعرض له الأطفال من خلال وسائل الإعلام المختلفة ولا سيما التليفزيون وخاصة في زمن الفضائيات والبث الرقمي، حيث يقوم بتشويه العديد من القيم التي اكتسبها الأطفال فضلاً عن تعليمهم العديد من القيم الأخرى الدخيلة، التي لا تتناسب مع قيم ومبادئ الثقافة الأم. أما فيما يتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي فإن لها أثراً سلبياً على عملية التنشئة الاجتماعية التي يشكل التفاعل الاجتماعي جوهرها، حيث يؤدي إدمان استخدام تلك المواقع إلى تقليل واضمحلال مهارات التفاعل الشخصي بين أفراد المجتمع، بسبب التعلق بالتواصل الافتراضي، مما يؤدي إلى وجود شرخ في طبيعة العلاقات الاجتماعية من خلال تعزيز ثقافة العزلة والتنافر بين أفراد المجتمع ، وتلاشي قيم التواصل الأسري وخصائص المجتمع التراحمي مما ينعكس سلباً على خصائص التنشئة الاجتماعية.

رابعاً- عمليات التنشئة الاجتماعية:

تتكون **عملية التنشئة الاجتماعية** من مجموعة من العمليات التي يتحول من خلالها الفرد من **كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي**، ومفهوم العملية يعني ما ينتاب الشيء من تغير يكسبه خصائص وسمات جديدة تميزه عن غيره. وتمثل التنشئة الاجتماعية عملية تغير تصاحب الفرد خلال مراحل حياته

المختلفة، حيث تختلف بالأسلوب لا بالأهداف. وفيما يلي سنحاول استعراض أهم العمليات الفاعلة في آلية عمل مفهوم التنشئة الاجتماعية، وهي كالآتي:

1- **عملية التعلم**: يلعب **التعلم*** دوراً هاماً في عملية التنشئة الاجتماعية، إلا أن التنشئة الاجتماعية أعم من التعلم لأنها حصيلة عمليات متعددة ومختلفة، لكن عملية التعلم هي أهم تلك العمليات. والتعلم عبارة عن العملية التي يكتسب من خلالها الفرد طرق إشباع دوافعه، أو يصل عن طريقها إلى تحقيق أهدافه. كما ينظر إلى التعلم باعتباره التغيير المطرد الذي يقع في السلوك ويرتبط من ناحية بالمواقف الجديدة التي يواجهها الفرد وبمحاولاته المستمرة للاستجابة مع المحيط بنجاح.

وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عبارة عن عملية تعلم لأنها تتضمن تغييراً للسلوك وتعديلاً فيه أمام خبرات معينة، كما أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستخدم بالضرورة أساليب التعلم بقصد أو بغير قصد، ومن

* **التعلم**: عملية تعديل وتغيير في سلوك المتعلم بشكل نسبي عن طريق المحاولة والتدريب، ويكون التعلم بدافع شخصي ورغبة شخصية في اكتساب المعارف والمهارات المختلفة والرُقي والتطوير، ويكون هنا المتعلم هو نفسه المعلم، ولا يعتمد على أشخاص غيره، ويكون اعتماده الكلي على نفسه في عملية التعلم. بينما التعليم عملية تفاعلية تنتقل فيها الخبرات والمهارات والمعارف والمعلومات من المعلم إلى ذهن المتلقي المتعلم الذي يرغب في التعليم. وهذه العملية التي تهدف إلى إيصال هذه المعلومات بشكل مباشر للمتعلم.
التعلم يكون بأي وقت متاح وفي أي مكان، على عكس التعليم الذي يرتبط بوقت ومكان مثل التعليم في المدارس .التعلم يكون فقط للفرد المتعلم، بينما التعليم يكون لمراحل معينة ويتوقف في فترات معينة .التعلم يتم بدون وجود معلم، بينما التعليم يتطلب وجود طرفين ولا تتم عملية التعليم إلا بوجود المعلم والمتعلم.

جهة أخرى أيضاً تخضع التنشئة لنفس قواعد التعلم من تعزيز وعقاب وإضفاء وتعميم وتميز وغيرها.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن السلوك يقوم على التعزيز (التدعيم) فالسلوك المعزز عن طريق الثواب يميل إلى التكرار في نفس المواقف، أما السلوك المعزز بالعقاب يميل إلى التوقف، فمبدأ التعزيز كافياً في ظهور بعض السلوكيات الجديدة عند الطفل. وبالمقابل نجد أن الأفراد لا يتعلمون السلوك الذي قاموا به فقط إنما أيضاً السلوك الذي قام به الآخرون من خلال مراقبتهم وملاحظة نتاج ذلك فنحن لا نتعلم سلوكيات مسبقة فقط إنما أيضاً القواعد التي هي أساس ذلك السلوك.

وتهتم عملية التعلم أيضاً بمفهومي المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي، فالفرد ينبغي أن يدرك الأدوار الاجتماعية لذاته وللآخرين، ويكتسب ذلك من خلال عملية التفاعل الاجتماعي أي الأخذ والعطاء والتأثر والتأثير مع الآخرين مثل: **الآباء والراشدون** الذين لهم مكانة في ذاته، فلا بد من الارتباط العاطفي لكي يتم اكتساب الدور من خلال التعلم المباشر والنماذج الاجتماعية.

2- عملية تكوين الأنا والأنا الأعلى(3): يتكون الجهاز النفسي للفرد من (**الهو، والأنا، والأنا الأعلى**). والأصل في هذا الجهاز الهو أو الجزء اللاشعوري وهو

(3) يعتبر **سيغموند فرويد Sigmund Freud** (1856-1939) مؤسس **مدرسة التحليل النفسي Psychoanalysis**، حيث قام بتقسيم **النفس البشرية - الشخصية** إلى ثلاث مركبات رئيسية : **الهو Id** ، **الأنا Ego** ، **الأنا العليا (الأنا الأعلى) Super ego** .

- **الهو Id** : مصدر الطاقة الغريزية ومخزن الأفكار والدوافع غير المقبولة، والمسيطر الأساسي والمُتحكم به هو مبدأ اللذة. الجزء اللاواعي. **الأنا Ego** : المركب العقلاني الواعي الذي يتحكم به هو مبدأ الواقع. ممكن أن نقول

منبع الطاقة الحيوية والنفسية ويتكون من مجموع الغرائز الجنسية والعدوانية، وهو بخصائصه اللاشعورية لا أخلاقي ولا منطقي ويسعى دائماً إلى تحقيق اللذة ويتميز به الفرد كمجرد كائن عضوي عن الشخص كذات اجتماعية. أي هو الشخصية البدائية التي يتناولها المجتمع بالتهذيب والتحوير.

أما الأنا فهو مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي والداخلي، والعمليات العقلية، وهو المشرف عن الجهاز الحركي والإداري ويتكفّل الأنا بالدفاع عن الشخصية، ويعمل على توافقها مع البيئة الخارجية وإحداث التكامل وحل الصراع بين مطالب الهو وبين مطالب الأنا الأعلى وبين الواقع الاجتماعي. بمعنى آخر، إن وظيفة الأنا هي التوفيق بين مطالب (الهو) والظروف الخارجية

أنه الجزء المهتم بالتوازن بين تحقيق رغبات الهو في إطار يقبله الأنا العليا. **الأنا العليا Super ego** : يظهر كوجهة ضرورية لتطوير **الأنا Ego** ويعكس القبول لقيم وأخلاقيات المجتمع. وفي هذا الجزء يسعى الإنسان إلى المثالية المفرطة، يعني أي قيم موجودة في المجتمع يسعى إلى تحقيقها. يعني ببساطة لو تحدثنا عن أي غريزة إنسانية مثل: **غريزة الجنس** يجب أن يشبعها **الهو Id** ، كما ذكرت هو الجزء المتحكم به الرغبات والاحتياجات. **الأنا Ego** يوافق على إشباع تلك الغريزة عن طريق الزواج لكي يكون **الأنا العليا Super ego** لديه قبول ورضا لتلك الغريزة. وطبقاً لفرويد أن الشخص السوي خالي من الاضطرابات النفسية هو إذا نشأ دافع أو رغبة في نفسه -رغبة محظورة- ولكن اعترضته ميول قوية، فإنه يحدث صراع نفسي على النحو التالي: الغريزة (**الهو**) والمقاومة (**الأنا**) ستصارع أحدهما الأخرى مدة من الزمن حتى تتنحى الغزيرة وتُستبعد، وتتغلب المقاومة وذلك هو الحل السوي. أما في تفسيره لكيفية نشوء المرض النفسي: نتيجة لضعف وتقهقر (**الأنا**) بعد صراعها مع الرغبة المحظورة، فتضعف المقاومة وتبقى الرغبة موجودة بقوتها، وهنا يحدث ما أسماه بالكبت. ويرى فرويد أن **الكبت** لا يفقد قوته بل يستمر في الضغط لمحاولة إشباع الرغبة، وباستمرار هذا الصراع تفقد النفس قدرتها على توازن وحماية (الأنا) فتقع صريعة الاضطراب النفسي. باختصار شديد، يرى **فرويد الشخصية السليمة** لا يمكن أن تحقق إلا إذا كانت المركبات الثلاثة (**Id, Ego, Super ego**) في انسجام وتوازن وتعاون فيما بينهم. فلا تطغى الرغبة **الهو Id**، ولا تطغى الأنا العليا **Super ego** نحو المثالية المفرطة، وتظل **الأنا Ego** محتفظة بتوازنها بين الأثنين في تحقيق الرغبات والاحتياجات في إطار يقبله القيم والمبادئ. لمزيد من القراءة والاطلاع انظر: معاوية محمود أبو غزال: **علم النفس العام**، مرجع سبق ذكره، 2015.

وينظر إليه كمحرك ومنقذ للشخصية، ويعمل الأنا في ضوء مبدأ الواقع. وينمو عن طريق الخبرات التربوية التي يتعرض لها الفرد من الطفولة إلى الرشد.

وأخيراً الأنا الأعلى، وهو نقيض الهو، هو الملاك وهو مستودع **المُثل، والخير، والحق، والأخلاق**، أي إنه يمثل الجانب القيمي والاجتماعي والثقافي وما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وأعراف جمعية للمجتمع. وينمو الأنا الأعلى مع نمو الفرد ويتأثر في نموه في الحياة العامة، كما أنه يتعدل ويتهذب بازدياد ثقافة الفرد وخبراته في المجتمع. **ولكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف تتم عملية التنشئة الاجتماعية في ضوء تكون الجهاز النفسي للفرد؟**

في حقيقة الأمر يتم ذلك عندما يحتك الهو بالمجتمع (الأنا الأعلى) تبدأ عملية تكوين الأنا أو الصيرورة من الفردية إلى الشخصية. وفي هذه العملية تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية، وتعد عملية تكوين الأنا من أهم عمليات التنشئة الاجتماعية. فالأنا يخضع لمبدأ اللذة، ولذا فهو منطقي إذا تمكن من تحقيق رغبات (الهو) في إطار الواقع الذي يفرضه المجتمع القائم بعاداته وتقاليده وقوانينه (الأنا الأعلى).

ويشتق الفرد الأنا الأعلى **سماعياً من أوامر الأب ونواهيه**، كما تدركها الأنا، أي مما يقوله الأب آمراً، ناهياً، مهدداً، راضياً، مشجعاً، مكافئاً. والأب بذلك ينقل لأولاده سلطة أبيه هو، وهكذا. فكأن الأنا الأعلى هو مظهر استمرار قيم وعادات وتقاليد وطقوس المجتمع إلى الأجيال القادمة وهو بذلك أساس معايير السلوك الاجتماعي.

وفي النهاية نجد أن التنشـــئة الاجتماعية في نشـــأتها وتطورها ترتبط أشـــد الارتباط بعملتين رئيســـيتين هما: عملية تكون الأنا، وعملية تكوين الأنا الأعلى. وبهما يكتسب الفرد عاداته وتقاليده بل معاييره وقيمه أيضاً.

3- **عمليـة التوافق الاجتمـاعي**: يعرّف التوافق بـأنـه " **عمليـة دينـاميكيـة مســـتمرة يهدف بها الفرد إلى تغيير ســـلوكه ليحدث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين البيئة، وهي كل ما يحيط بالفرد والتي يؤثر فيها ويتأثر بها** "[(4)].

وفي حقيقة الأمر هنا فرق واضـح بين التكيف والتوافق الاجتماعي. ولكن قبل أن نبين دور عملية التوافق في التنشـــئة الاجتماعية ســـنحاول توضـــيح معنى كل منهما. فمن خلال البحث والاطلاع في أدبيات وأبحاث علم النفس الاجتماعي نجد أن التوافق باختصار شديد أعم وأشمل من مفهوم التكيف، حيث إن مفهوم التوافق الاجتماعي ينطبق على النواحي النفسـية والاجتماعي، بينما مفهوم التكيف فإنه يختص بالنواحي الفيزيولوجية.

ويتجســـد مفهوم التوافق الاجتماعي على ســـبيل المثال من خلال عملية تغيير الفرد لســـلوكه ليتســـق مع غيره، وذلك بإتباعه للعادات والتقاليد وخضـــوعه للالتزامات الاجتماعية، عملية توافق. أما عملية التكيف فإنها تتجســـد على ســـبيل المثال من خلال تغيير حدقة العين وذلك باتســـاعها في الظلام وضـــيقها في الضـــوء الشـــديد، وتســـمى هذه العملية بالتكيف

---

(4) لمزيد من القراءة والاطلاع حول مفهوم **التوافق النفســي والاجتماعي** انظر: أنور إبراهيم أحمد: **التوافق النفسي والاجتماعي لأبناء النوبة في ضوء البناء الثقافي والاجتماعي (دارسة وصفة مقارنة)**، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ط1، 2014.

الفيزيولوجي. وهكذا ندرك أهمية دور عملية التوافق الاجتماعي في التنشـــئة الاجتماعية.

ولا تقتصـــر عملية التوافق الاجتماعي فقط على الطفل بل تمتد إلى حياة الراشـــد، وخاصـــة عندما يواجه بيئة اجتماعية جديدة، وحينها تبدأ عملية التوافق الاجتماعي مع تلك البيئة.

وفي هذا الســـياق نجد أن أغلب الدراســـات والأبحاث في مجال التنشـــئة الاجتماعية تتمركز حول تنشـئة الطفل بشـكل أسـاسـي ونموه الاجتماعي، إلا أن مفهوم عملية التنشئة الاجتماعية في معناها العام والواسع لا تقتصر على ما يحدث للطفل وهو يتحول من فرد إلى شـخص بل إنها تمتد لتشـمل كل ما يحدث للفرد عندما يســعى إلى التوافق بســلوكه مع معايير وأســلوب حياة الجماعة الجديدة التي أنضــم إليها بوصــفه عضــواً فيها. وعلى ســبيل المثال تتجســـد عملية التوافق الاجتماعي من خلال انتقال الفرد من نمط الحياة المدنية إلى الحياة العســكرية، أو عندما ينتقل خلال مراحل حياته من بيئة اجتماعية لأخرى ومن عمل لآخر، ومن مســتوى ووضــع اجتماعي لآخر، بذلك تؤكد عملية التوافق الاجتماعي اسـتمرارية عملية التنشـئة الاجتماعية خلال مراحل الحياة المختلفة للفرد.

4- **عملية الانتقال الثقافي**: عندما تعمل التنشـــئة الاجتماعية على تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، فهي بالوقت نفســه تعمل على نقل الثقافة من جيل إلى آخر. فالمؤسسة الاجتماعية الأولية التي تضطلع بتشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يتمكنوا من العيش في مجتمع ذي ثقافة معينة، هي

مؤسسة الأسرة بشكل أساسي ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى. لذلك نرى كيف أن ثقافة ما تحافظ على خصائصها الثقافية طوال أجيال متعددة، وفي هذا السياق يرى الاتجاه الوظيفي بأن عملية نقل الثقافة للأجيال القادمة يضمن استمرارية واستقرار النظام الاجتماعي، وأن مركبات الثقافة التي تبقى من جيل إلى آخر هي التي تعود بالنفع على المجتمع، وإن الفرد الذي يتعلم ثقافة مجتمعه يتعزز ارتباطه بالانتماء إلى ذلك المجتمع.

ويرى **" إدوارد تايلور" في كتابه " الثقافة البدائية 1871 " الثقافة بأنها** " ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع ". **وفي كتابه الانثروبولوجيا 1881 أضاف تايلور"** أن الثقافة بهذا المفهوم، هي شيء لا يملكه الإنسان "[5].

وبما أن هذه الثقافة هي التي تميز مجتمعاً عن مجتمع آخر، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تعتبر من أهم الوسائل التي يحافظ بها المجتمع على خصائصه وسماته الثقافية وعلى استمرارها عبر الأجيال المتعاقبة. كما يتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية نقل القيم الحضارية الأصيلة والمحافظة عليها من الزوال بفعل القيم الدخيلة للمجتمعات الأخرى نتيجة عملية الغزو الثقافي.

---

[5] كليفورد غيرتز: **تأويل الثقافات**، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص(8).

لذا نجد أن فشل عملية التنشئة الاجتماعية بالنسبة للفرد قد لا يؤدي إلى مثل خطورة فشلها بالنسبة للمجتمع، لأنها عندما لا تحقق وظيفتها الثقافية فإن هذا قد يعني انتهاء المجتمع القائم وتحوله إلى مجتمع آخر.

خامساً- أهداف التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية بشكل عام من أهم المقدرات التي تعبّر عن هوية المجتمعات ومستقبلها وحركتها وفاعليتها، بل هي الموجه الأكثر تعبيراً عن آفاقها، وعملية التنشئة الاجتماعية ليست ملء فراغ، بل تعد من أهم العمليات المسؤولة عن الاستفادة من إمكانات المجتمع وتلبية احتياجاته. وتهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وهي كالآتي:

1. **ضبط السلوك**: فمن خلال علمية التنشئة الاجتماعية يتم تدريب الفرد على التحكم في سلوكه لضبط تصرفاته بدايةً باللغة والعادات والتقاليد، وصولاً إلى كل ما يتعلق بأساليب توجيه حاجاته النفسية والاجتماعية والقدرة على توقع سلوك الآخر[6].
2. **اكتساب المعرفة الاجتماعية**: أي اكتساب الأفراد أساليب التعامل والتفكير الخاصة بالجماعة والمجتمع من خلال تلقينهم نظم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لمعاييره الثقافية.

[6] عبد العزيز خواجة: **مبادئ التنشئة الاجتماعية**، دار غريب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2005، ص(30).

3. **تعلم الأدوار الاجتماعية**: ليحافظ المجتمع على ذاته يضع تنظيماً محدداً للأدوار والمراكز الاجتماعية، التي يشغلها كل فرد في جماعة معينة، وتختلف هذه المراكز حسب الفئة العمرية، والمهنية، والثقافية.
4. **التكيف والتآلف مع الآخرين**: بلوغ هذا الهدف يعني تحقيق الصحة النفسية والاجتماعية للفرد، ومن مظاهره تكوين الصداقات وتنمية الذات الاجتماعية كبديل للذات الانفرادية، والإذعان لقوانين المجتمع، وتقاليده بقبول ورضاء.
5. **الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس**: أي تعويد الفرد على التعبير عن نفسه وجعله قادراً على الاستقلال عن والديه أو غيرهما، فهذا الاستقلال يجب أن يكون مادياً ونفسياً، بصورة يؤدي فيها هذا الاستقلال إلى الشعور بالمسؤولية والواجب مع التوعية بالحقوق والواجبات[7].
6. **تكوين القيم الروحية والوجدانية والخلقية**: أي غرس القيم الروحية في الفرد، وكذلك الضوابط الاجتماعية للسلوك الجنسي، والاتجاهات المعنوية لتحقيق التوازن بين الدوافع الغريزية وبين الدوافع الاجتماعية في شخصية الفرد. إضافةً إلى تدريب الفرد على السلوك اللائق، وتكوين ضوابط مانعة لعدم ممارسة السلوك اللا مقبول أخلاقياً واجتماعياً.

---

[7] صلاح الدين شروخ: **علم الاجتماع التربوي**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة (الجزائر)، 2004، ص(58).

7. **التعاون**: إن التعاون عملية اجتماعية تدل على أن حرص الإنسان على تحقيق مصالح الغير لا يقل عن أهمية حرصه على تحقيق رغباته الخاصة، ومصالحه الذاتية. فمن أهداف التنشئة الاجتماعية في هذا السياق اكتساب الفرد والمراهق خاصةً قيم العمل التعاوني، الذي ينشأ بين الأفراد عند تفاعلهم واحتكاك مصالحهم، ويعتبر التعاون من أهم خصائص الشخصية السوية التي تؤمن بالعمل الجماعي.
8. **النجاح**: يسعى الوالدان على تنشئة ولدهما على اكتساب المعارف العلمية والقيم الاجتماعية والثقافية ليتمكن من أداء دوره بنجاح في المستقبل، ويعتبر تحقيق النجاح والوصول إلى هذا المبتغى هدفاً رئيسياً للتنشئة الاجتماعية، فالنجاح الفردي مطلباً اجتماعياً وحيوياً وهو سمة من سمات الشخصية السوية الطموحة.
9. **تنمية القدرات**: إن نمو القدرات العامة للفرد تستمر بشكل منتظم في مرحلة الطفولة، حيث تنمو في هذه المرحلة نمواً سريعاً، ثم ينخفض مستوى سرعتها في مرحلة المراهقة ليهدأ النمو تماماً في منتصفها ويستمر على مستوى ثابت حتى يستقر استقراراً تاماً في مرحلة الرشد، وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية دوراً أساسياً في تنمية وإثراء قدراته عامةً وقدراته الاجتماعية خاصةً، وتنحصر تلك القدرات في حسن التعامل والتصرف مع الآخرين، وشغل مكانة اجتماعية في جماعة ما، أو القدرة على التكيف والانسجام مع الآخرين في إطار المواقف الاجتماعية المختلفة. وهذا يؤدي بكل تأكيد

إلى إيجاد فرد ذي كفاية اجتماعية لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية.

10. **التكيف**: هناك نوعين للتكيف[8]:

- **التكيف البيولوجي**: وهو الذي يحدث بين الكائن الحي وظروف البيئة الطبيعية، وكثيراً ما نقول " **الأسود متكيفة مع حياة الغاب** ".
- **التكيف الاجتماعي**: بفضل التنشئة الاجتماعية يتطبّع الشخص بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، فيصبح عضواً مهماً وعنصراً منسجماً وفاعلاً تؤدي به إلى التكيف مع محيطه.

11. **خلق الشخصية المنوالية**[9]: أي خلق ما يسمى **بالشخصية النمطية للمجتمع** ذات الطابع الوطني، ويقصد بها تلك الصفات أو السمات

---

[8] لمزيد من القراءة والاطلاع انظر: بطرس حافظ بطرس: **التكيف والصحة النفسية للطفل**، دار المسيرة، عمان، ط1، 2008، ص(100).

[9] ينظر إلى مفهوم " **الشخصية المنوالية** " باعتباره مفهوم إحصائي يشير إلى نمط الشخصية الذي يخرج بأكثر عدد من التكرارات بين مختلف أنماط الشخصية في مجتمع واحد. ويطبق مفهوم " **الشخصية المنوالية** " على أي منهج يحدد الشخصية المميزة لأي جماعة ثقافية عن طريق الميل المركزي لأي توزيع تكراري معين. ولما كان استنتاج التوزيعات الاحصائية لسمات الشخصية من المادة الثقافية غير ممكن، فيتجه الى الاختبارات النفسية لعينة من الجماعة الثقافية. **يُعنى مفهوم الشخصية المنوالية بالظواهر المشتركة المرتبطة بالشخصية الأساسية والوطنية، غير أنها تركز بشكل لافت على الديناميكية النفسية المتمثلة في تكيف الأشخاص ونجاحهم في بلوغ مستوى من النمطية في ميولهم العامة التي يتميزون بها عن أفراد المجتمعات والثقافات الأخرى. وينطلق باحثو الشخصية المنوالية من حقيقة أن أفراد المجتمعات الثابتة والمستمرة غالباً ما يظهرون سمات محددة بصورة أكثر تكراراً من الجماعات المؤقتة أو غير الخاضعة لتنظيم اجتماعي مشترك.**

التي ترتبط بالفرد كنتيجة لمجتمع أو كمظهر من مظاهر انتمائه العضوي لذلك المجتمع، وبهذا المعنى يصبح الطابع الوطني للشخصية امتداداً لمفهوم الشخصية ولكن على المستوى الاجتماعي. بمعنى آخر أي الشخصية التي تجسم العلاقات البارزة التي يتسم الأفراد الذين يعيشون في مجتمع ما بحيث يؤدي هذا إلى وجود إطار مشترك تتحدد من خلاله الملامح المميزة للمجتمع.

وفي النهاية يمكننا القول بأن **التنشئة الاجتماعية عملية معقدة متشعبة الأهداف والمرامي تستهدف مهام كثيرة وتحاول بمختلف الوسائل تحقيق ما تصبو إليه، ويرجع ذلك إلى أهمية تلك العملية ودورها الكبير في خلق مجتمع خال من الانحر افات الخلقية والاجتماعية.**

سادساً- أنماط التنشئة الاجتماعية:

في واقع الأمر **تأخذ عملية التنشئة الاجتماعية نمطين أساسيين** خلال سعيها الدؤوب إلى إتمام وظائفها تجاه النشء، وهما كالآتي:

1. **التنشئة الاجتماعية المقصودة:** ويتم هذا النمط من التنشئة في كل من الأسرة والمدرسة، فالأسرة تعلم أبنائها اللغة وآداب الحديث والسلوك، وفق نظامها الثقافي ومعاييرها واتجاهاتها. وتحدد لهم الطرق والأساليب والأدوات التي تتصل بنقل هذه الثقافة، وقيمها ومعاييرها. كما أن التعلم المدرسي في مختلف مراحله تعليماً

مقصوداً، له أهدافه وطرقه وأساليبه ونظمه ومناهجه التي تتصل بتربية الأفراد وتنشئتهم بطريقة معينة.

2. **التنشئة الاجتماعية غير المقصودة**: ويتم هذا النمط من التنشئة من خلال دور العبادة ووسائل الإعلام والاتصال والسينما والمسرح والنوادي الثقافية الاجتماعية والجمعيات الأهلية، التي تسهم إلى حدٍ كبيرٍ في ترسيخ عملية التنشئة الاجتماعية من خلال الأدوار التالية:

أ) يتعلم الفرد المهارات والمعاني والأفكار عن طريق اكتسابه المعايير الاجتماعية التي تختلف باختلاف هذه المؤسسات.

ب) يتكسب الفرد من خلالها الاتجاهات والعادات المتصلة بالحب والكره واللعب والنجاح والفشل والتعاون والواجب والمشاركة وتحمل المسؤولية.

ت) كما يتكسب الفرد من خلالها العادات المتصلة بالعمل (**قيم العمل**)[10] أي الإنتاج والاستهلاك وغير ذلك من

---

[10] **قيم العمل**: مجموعة من المبادئ والاهتمامات التي تتطلبها طبيعة المهنة، والمتفق عليها من قِبل العاملين بها لتحديد أو تعيين السلوك الذي تقتضيه مسؤوليات المهنة ذاتها. كما ينظر إلى قيم العمل على أنها استعدادات دافعة للفرد نحو بيئة العمل، وممن نظر إلى قيم العمل هذه النظرة، حيث ترى بأنها مجموعة الموجهات السلوكية التي تحدد سلوك الفرد داخل عمله، **باختصار شديد**: **قيم العمل**: هي مجموعة من المعايير ترتبط بالمحددات التي تنظم علاقة الإنسان ببيئة العمل المادية والبشرية، أو هي المعايير التي يتفق عليها مجموعة من الأفراد في عمل واحد تؤثر في دوافعهم وسلوكهم سواء كان سلوكاً مرغوباً فيه أو غير مرغوب فيه. لمزيد من القراءة والاطلاع حول **مفهوم قيم العمل** انظر: أحلام أوغيدني، فتحية طويل: **قيم العمل أهميتها وتأثيرها على سلوك الموظفين**، مجلة المفكر، الجزائر، العدد:17، العدد02، 2022، ص(235).

أنواع السلوك والاتجاهات والمعايير والمراكز والأدوار الاجتماعية[11].

وأخيراً، يمكننا تعريف **السلوك الإنساني في ضوء علمية التنشئة الاجتماعية** بأنه كل نشاط يصدر عن الكائن الحي نتيجة لعلاقته التفاعلية مع البيئة المحيطة، سواء إن كان هذا النشاط، نشاطاً عقلياً، اجتماعياً، حركياً، انفعالياً...إلخ. والسلوك في كليته مكتسب من البيئة الخارجية المحيطة بالفرد، وهناك عوامل عديدة تحدد السلوك الإنساني وبالأخص عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، والتعليم وخلافه. كما يكتسب السلوك الإنساني صفة الثبات النسبي والتشابه بين الماضي والحاضر والمستقبل. وكون السلوك الإنساني ثابتاً نسبياً فإنه يمكن التنبؤ به في المستقبل. وبما أن المربي خلال عملية التنشئة الاجتماعية لديه الكفاءة في تعديل السلوك وتغييره، لذلك فإن فهم السلوك ودراسة طرق تعديل هذا السلوك أمر ضروري في عملية التنشئة الاجتماعية. وعلى الرغم من أن السلوك ثابت نسبياً، إلا أنه قابل للتعديل والتغيير عن طريق التربية والتعلم والتعليم، لأن التعلم ليس إلا عملية تعديل في السلوك، سواء أكان هذا السلوك سوياً أم منحرفاً. وبما أن السلوك الإنساني مرن وقابل للتعديل والتغير، فهذا من شأنه أن يشجع الآباء والمربون على أن يكونوا أكثر تفاؤلاً لتغيير أو تعديل سلوكيات الأفراد نحو الأفضل. فمرونة السلوك عند الفرد تعني أن لديه القابلية والاستعداد

---

[11] عبد العزيز خواجة: **مبادئ التنشئة الاجتماعية**، مرجع سبق، ص(33).

للتغيير بشكل مستمر، ولا يقتصر مبدأ مرونة السلوك على السلوك الظاهري، بل يشمل التنظيم الأساسي للشخصية ومفهوم الذات أيضاً. فالإنسان **كائن اجتماعي يعيش في مجتمع فيؤثر فيه ويتأثر به** ويقوم بأدوار اجتماعية معينة، كما توجد مؤسسات اجتماعية مختلفة تسهم في تنشئة الفرد وتعده **للدور الاجتماعي المنوط** به.

- المراجع المعتمدة:

1. أحلام أوغيدني، فتحية طويل: **قيم العمل أهميتها وتأثيرها على سلوك الموظفين**، مجلة المفكر، الجزائر، العدد:17، العدد02، 2022.
2. أحمد محمد الزعبي: **أسس علم النفس الاجتماعي**، زهران للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
3. أنور إبراهيم أحمد: **التو افق النفسي والاجتماعي لأبناء النوبة في ضوء البناء الثقافي والاجتماعي (دارسة وصفة مقارنة)**، المكتب العربي للمعارف، القاهرة، ط1، 2014.
4. بطرس حافظ بطرس: **التكيف والصحة النفسية للطفل**، دار المسيرة، عمان، ط1، 2008.
5. حسام الدين فياض: **المدخل إلى الاجتماع – من مرحلة تأصيل المفاهيم إلى مرحلة التأسيس**، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول، سلسلة نحو علم اجتماع تنويري، الكتاب: الثاني، الجزء الأول، ط1، 2021.
6. زهران حامد عبد السلام: **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1988.
7. صالح محمد علي أبو جادو: **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار المسيرة، عمان، ط1، 1998.
8. صلاح الداهري: **أساسيات علم الاجتماع النفسي التربوي ونظرياته**، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010.
9. صلاح الدين شروخ: **علم الاجتماع التربوي**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة (الجزائر)، 2004.
10. عبد الحمن العيسوي: **التربية النفسية للطفل والمراهق**، دار الراتب الجامعية، بيروت، 2000.

11. عبد الرحمن العيسوي: **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط1، 1984-1985.

12. عبد العزيز خواجة: **مبادئ التنشئة الاجتماعية**، دار غريب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2005.

13. عبد الله محمد عبد الرحمن: **علم الاجتماع النشأة والتطور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

14. عبد الواحد علواني: **تنشئة الطفل وثقافة التنشئة**، دار الفكر، بيروت، ط2، 2001.

15. فيروز مامي زرارقة، فضيلة زرارقة: **التنشئة الاجتماعية في الأسرة والمدرسة بين التطبيع الاجتماعي والانفتاح على الآخر**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد: الرابع، ديسمبر 2016.

16. كليفورد غيرتز، **تأويل الثقافات**، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.

17. محمد أحمد صوالحة، مصطفى محمود حوامدة: **أساسيات التنشئة الاجتماعية للطفولة**، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، 1994.

18. محمد شفيق: **السلوك الاجتماعي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2002.

19. محمد محمد نعيمة: **التنشئة الاجتماعية وسمات الشخصية**، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 2002.

20. معاوية محمود أبو غزال: **علم النفس العام**، دار وائل للنشر، عمان، ط2، 2015.

21. نبيل عبد الهادي: **مقدمة في علم الاجتماع التربوي**، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.

22. هدى محمد قناوي: **الطفل - تنشئته وحاجاته**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 2013.

الفصل الثاني

أساليب المعاملة الوالدية في عملية التنشئة الاجتماعية

في حقيقة الأمر هناك العديد من المؤسسات التي تساعد في عملية **التطبيع الاجتماعي**[1] (التنشئة الاجتماعية) أهمها الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، دور العبادة، وكذلك وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

وتعتبر **المؤسسات*** المحيطة بالطفل مصادر خبرة مختلفة تلعب أدواراً مهمة في نموه وارتقائه بحكم ما تمثله من متغيرات اجتماعية تجد طريقها إلى

---

[1] **التطبيع الاجتماعي:** هي العملية التي تتم من خلال **عمليات التفاعل الاجتماعي**، حيث يتحول الفرد من خلالها من **كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي** مكتسب الكثير من الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق التقليد والتعليم مما يطبع سلوكه بالطابع الاجتماعي، وللأسرة وما يسود فيها من اتجاهات وأساليب مختلفة للتطبيع دوراً فعالاً في حياة الأبناء. لذلك تعتبر **الاتجاهات الوالدية في التطبيع الاجتماعي** بمثابة التفاعلات التي توجه سلوك الأبناء، فهي محددات ضابطة وموجهة للسلوك الاجتماعي. والتطبيع الاجتماعي هو العملية التي يمر بها الفرد لكي يتعلم المعارف والقيم والاتجاهات وأنماط السلوك المتوقعة والتي تمكنه من القيام بدوره والمشاركة في المجتمع الذي يعيش فيه. حيث يهدف التطبيع الاجتماعي إلى إكساب الأفراد في مختلف مراحل نموهم (**طفولة، مراهقة، رشد، شيخوخة**) أساليب سلوكية معينة تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع حتى يتحقق لهؤلاء التفاعل والتوافق مع الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه. خلاصة القول: **هو العملية التي تساعد الفرد على التكيف والتلازم مع بيئته الاجتماعية ويتم اعتراف الجماعة به ويصبح متعاوناً معها وعضواً كفؤاً بها. أو العملية التي يكتسب الطفل بموجبها الحساسية للمثيرات الاجتماعية، كالضغوط الناتجة من حياة الجماعة والتزاماتها، وتعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين، وأن يسلك مثلهم في العملية التي يصبح الطفل بموجبها كائناً اجتماعياً.**

* نعتمد في فهمنا **للمؤسسة الاجتماعية** على المفاهيم التي قدمتها **المدرسة الوظيفية للمؤسسة الاجتماعية كمنظمة اجتماعية** وبهذا التصور ننظر إلى المؤسسة الاجتماعية باعتبارها نسقاً مركباً ووحدة تنظيمية تتكون من مجموعة أجزاء تتصف بالاستقلالية فيما بينها، إلا أنها في نفس الوقت تتشابك وتترابط بمجموعة روابط داخلية تجعل كل منها وحدة بنائية فيها مرتبطة بباقي الوحدات الأخرى، وتُمكنها من إنجاز جزء من الهدف أو

بنائه النفسي والاجتماعي. ومن الواضح أن تأثير هذه المؤسسات ليس متماثلاً بالمحصلة، فالأدوار التي تلعبها أدوار متباينة ومختلفة، وبالتالي من حيث تأثيرها أيضاً. وعلى العموم تمر عملية التنشئة الاجتماعية بمراحل مختلفة، وهي كالآتي:

- **تنشئة اجتماعية أولية**: تتم داخل الأسرة، وبالأخص فيما يتعلق بالسنوات الست الأولى من عمر الطفل، وهي أعمق أثراً في تكوين شخصية الفرد.
- **تنشئة اجتماعية ثانوية**: ويتعرض لها الطفل خارج أسرته في الحضانة والروضة والمدرسة ودور العبادة والنوادي وجماعات الرفاق والأقران. وقد يتعرض خلالها لإعادة تنشئة من خلال النماذج التي يصادفها وتكون مغايرة لتلك التي قدمتها الأسرة.
- **تنشئة اجتماعية موازية**: وهي موازية للتنشئة الأولية والثانوية، وتقدمها وسائل **الإعلام والاتصال والتواصل** ومصادر المعلومات المختلفة.

الغاية التي تسعى المؤسسة لتحقيقها مثل مؤسسة الأسرة هدفها القيام بعملية التنشئة الاجتماعية لأفرادها.
خلاصة القول يمكننا تعريف **المؤسسة** بأنها " **نظام مركب من المعايير الاجتماعية المتكاملة المنظمة من أجل المحافظة على قيمة اجتماعية أساسية** ".

أولاً- مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

سنحاول في هذا السياق استعراض **مؤسسات التنشئة الاجتماعية** بالشرح التفصيلي والمكثف من خلال ما يلي:

1- الأسرة: هي **الخلية الأساسية** في المجتمع وأهم جماعاته الأولية، حيث تشكل رابطة اجتماعية تتكون من الأب والأم والأبناء. بذلك فإن الأسرة هي أول جماعة إنسانية يحتك بها الطفل احتكاكاً مباشراً مستمراً في سنواته الأولى، ومن ثم هي التي تشكل **وجدانه الاجتماعي والثقافي**، وترسخ فيه مجموعة القيم والعادات والتقاليد المقبولة اجتماعياً.

بناءً على ما سبق يمكن لنا **تعريف الأسرة** بأنها " **جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما رابطة يقرها المجتمع وأبناؤهما، يعيشون تحت سقف واحد، ويشتركون في ثقافة واحدة، ويشكلون وحدة اقتصادية واحدة** " [2]. ويمكننا تعريفها أيضاً بأنها " **تمثل الجماعة الأولى التي يتكون منها البنيان الاجتماعي وهي أكثر الظواهر انتشاراً وتأثيراً في الأنظمة الاجتماعية الأخرى، كما كانت ولا تزال عاملاً هاماً رئيساً من عوامل التربية والتنشئة الاجتماعية للأبناء** "[3].

أما عن **أشكالها** فإننا نميز بين شكلين أساسيين هما: الأول **الأسرة النووية (النواة)** وهي جماعة اجتماعية صغيرة تتكون من الأب والأم والأبناء غير

---

[2] محمد علي محمد، السيد عبد العاطي السيد، سامية محمد جابر: **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص(176).

[3] سناء الخولي: **الأسرة والحياة العائلية**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1984، ص(90).

البالغين وتقوم كوحدة مستقلة عن باقي المجتمع المحلي. وتتسم هذه الأسرة بصلابة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها، ولكن سرعان ما تضعف هذه العلاقة بعد بلوغ الأطفال الذين غالباً ما يتأثرون بجماعات وفئات المجتمع التي يحتكون معها في حياتهم اليومية وقد تنقطع علاقات الأبناء بالآباء بعد زواج الأبناء خصوصاً في انتقالهم الجغرافي. ينتشر هذا الشكل من الأسر في المجتمعات الحديثة عموماً والمجتمع الصناعي خصوصاً لأنه يعبر عن الفردية التي تنعكس في حقوق الملكية والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردي. أما الشكل الثاني فهو **الأسرة الممتدة** وهي الأسرة التي تتكون من عدة وحدات أسرية نووية تجمعها الإقامة المشتركة والقرابة الدموية، وهي النمط الشائع قديماً في المجتمع ولكنها منتشرة في المجتمع الريفي، بسبب انهيار أهميتها في المجتمع نتيجة تحوله من الزراعة إلى الصناعة، وتتنوع إلى أسرة ممتدة بسيطة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم، وأسرة ممتدة مركبة تضم الأجداد والزوجين والأبناء وزوجاتهم والأحفاد والأصهار والأعمام، وهي تعتبر وحدة اجتماعية مستمرة لما لا نهاية حيث تتكون من ثلاثة أجيال وأكثر، وتتسم بمراقبة أنماط سلوك أفراد الأسرة والتزامهم بالقيم الثقافية للمجتمع، وتعد وحدة اقتصادية متعاونة يرأسها مؤسس الأسرة، ويكتسب أفرادها الشعور بالأمن بسبب زيادة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

وترجع **أهمية الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية** باعتبارها تمثل المكانة البارزة بالحياة الاجتماعية، فهي البيئة الأساسية الصالحة لتنشئة الطفل

والوسيلة المهمة التي تشرف على نموه الاجتماعي وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه، كما بواسطتها يحفظ المجتمع تراثه الثقافي والاجتماعي وينقله عبر الأجيال المتعاقبة، كما أنها مصدر الأمان النفسي والاجتماعي والدفء العاطفي لكل فرد في المجتمع.

لذا نجد أن **الميلاد البيولوجي** للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجوده واستمراره، وإن العامل الحاسم هو **ميلاده الاجتماعي** أي تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلى مجتمع بعينه، وتدين بثقافة بذاتها، **والأسرة هي صاحبة الفضل في تحقيق ميلاده الاجتماعي الذي نطلق عليه عملية التنشئة الاجتماعية. وتقوم الأسرة بعدة وظائف تكاد تكون متشابهة في كافة المجتمعات، رغم تنوع طرق ممارساتها باختلاف الإطار الثقافي للمجتمع**. فالأسرة في وسيلة للاستمرار المادي للمجتمع، التي تزوده بأعضاء جدد عن طريق التناسل، كما تقوم الأسرة بالمحافظة على الاستمرار المعنوي للمجتمع لأنها مصدر الأساسي للتثقيف الديني والأخلاق والمثل العليا والقيم والمعايير الاجتماعية والإطار الثقافي لضبط السلوك وتربية الأفراد وتنشئتهم وتوجيههم.

خلاصة القول، تعتبر **الأسرة المؤسسة الأولى والأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية**، فهي التي تغرس في الأفراد بذور القوة والضعف والنجاح والفشل والنشاط والكسل والحب والكراهية، فالأسرة تكون النسيج الأساسي وتمثل الخلية الأولى للمجتمع وعلى أساسها يتوازن المجتمع أو يفقد توازنه.

2- **المدرسة**: هي مؤسسة اجتماعية تربوية تعليمية، أنشأها المجتمع للإشراف على عملية التنشــئة الاجتماعية، ولتكوين الموارد البشــرية المؤهلة من أجل تطوره وتقدمه. أو هي المؤســســة الاجتماعية التي توكل إليها مهمة التربية الحســية والفكرية والأخلاقية لكل من الأطفال والمراهقين. **بمعنى آخر**، هي المؤســســة الاجتماعية الثانية بعد المؤســســة الأولى (الأســرة) في الأهمية، ومؤســســة متخصــصــة أنشــأها المجتمع لتربية أفراده وتعليمهم، وهي أيضــاً مجتمع مصــغر يشــبه المجتمع الكبير، لأنها تضــم بداخلها مجموعة من الأنشــطة والعلاقات الاجتماعية المتعددة، وعلاقتها بالمجتمع علاقة متبادلة كما تعتبر وســطاً تربوياً تتميز عن الأوســاط الاجتماعية الأخرى نظراً لخبراتها التربوية المقصودة كما تساهم في بناء النظام الاجتماعي[4].

وعلى الرغم من أن المظاهر الأولى للتنشــئة الاجتماعية تبدأ وتترعرع في جو الأسرة كما ذكرنا سابقاً، إلا أن الأسرة لم تعد تستأثر وحدها بتلك التنشئة في عالمنا المعاصــر وذلك نتيجة لعلمية التصــنيع الذي أدى بدوره إلى تحديث المجتمعات وتطورها حتى أضــعف دور وأثر الأســرة في عملية التنشــئة عندما تصــبح فرص التعليم متاحة للجميع وتصــبح المؤســســات التعليمية المختلفة بما فيها المدرســة والجامعة هي المدخل الطبيعي لكســب الرزق وهذا ما يحدث الآن في أغلب المجتمعات الحديث والمعاصــرة، وخاصــة في البلدان التي تخطط لنفســها لتتطور من مجتمعات نامية لمجتمعات متقدمة وتتحول من

[4] نجاة يحياوي: **المدرسة وتعاظم دورها في المجتمع المعاصر**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد:36، نوفمبر 2014، ص(58).

مجتمعات زراعية إلى مجتمعات صناعية وتكنولوجية، من أجل هذا يتسع مجال التنشئة الاجتماعية ليجاوز الأسرة إلى المدرسة.

ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة أن أثر المدرسة زاد في عملية التنشئة الاجتماعية بسبب اضمحل أثر الوراثة في تحديد المكانة الاجتماعية، حيث أصبحت المكانة الاجتماعية تكتسب عن طريق التعليم، وبذلك أصبح الفرق بين الأسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية هو أن الفرد يكتسب مكانته في الأسرة عن طريق الجنس والسن وصفاته الخاصة، بينما في المدرسة يكتسب مكانته الاجتماعية عن طريق المنافسة والامتحانات التي تؤهله بعد ذلك لسوق العمل في المستقبل، وقد تتصف مهنته بالمكانة الاجتماعية المرموقة أو غير المرموقة.

بذلك تعبر المدرسة ضرورة حتمية في الوقت الحاضر خاصةً بعد تعقد الحياة الاجتماعية، فأصبح دور المدرسة متخصصاً في نقل المعارف والعلوم، وبالتالي الثقافة من جيل إلى آخر بطريقة منظمة ومقصودة لتحقيق النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي للفرد، كما أصبحت وظيفة المدرسة توفير بيئة تتكون من مجموعة من المعارف لتنشئة الأطفال على أنواع من السلوك المنتقاة من ثقافة المجتمع ومعاييره، حتى لا تتعارض مع ما تقدمه الأسرة لأبنائها، فوظيفتها إذن مكملة لدور الأسرة، **ويمكن أن نبين باختصار شديد أهم وظائف المدرسة**، وهي كالآتي:

أ) **نقل التراث الثقافي**: إن الوظيفة الأساسية للمدرسة هي استمرار ثقافة المجتمع ودوامها، وذلك بأن تُيسر لأبناء المجتمع امتصاص قيم

ذلك المجتمع واتجاهاته ومعايير السلوك التي يرتضيها المجتمع في المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة.

ب) **التكامل الاجتماعي***: أي توفير بيئة تساعد على تحقيق حياة متوازنة ومنسجمة يعيش فيها جميع أفراد المجتمع من أطفال وشباب مهما كانت مستوياتهم الاجتماعية للعمل في سياق مشترك، وبذلك فهي تسعى إلى التنسيق بين مختلف المؤثرات التي يتلقاها الفرد أو المراهق لبعض القيم التي يتشربها من الأسرة، ويتعرض لأخرى مخالفة في جماعة الرفاق، ويستمد قيماً أخرى من دور العبادة وبذلك فإن المراهق وغيره سوف يواجه مجموعة من التناقضات قد تؤدي إلى صراع داخلي، وبذلك فمن مهام المدرسة أن تقوم بدورها في تحقيق ما يسمى بالتكامل الاجتماعي للقضاء على هذا التناقض.

ت) **النمو الشخصي**: إذا كانت المدرسة تعمل على نقل التراث الثقافي وتحقيق التكامل الاجتماعي، فإنها تعمل كذلك على زيادة النمو

---

* **التكامل الاجتماعي**: هو تكيف الجماعات الاجتماعية والأفراد بطريقة يؤدي إلى تكوين مجتمع منظم بحيث تؤدي هذه الجماعات أو هؤلاء الأفراد إلى ممارسة أوجه النشاط التي يمارسونها فيما بينهم بأقل قدر من التوتر والنزاع.

تعبر **عملية التكامل الاجتماعي في علم النفس** عن العملية التي يتم فيها دمج المجموعات المنفصلة لتشكيل مجتمع موحد، فالتكامل يعني ضمناً معاً ككل، وهي عملية استيعاب الشخص في مجموعة محددة، فمفهوم التكامل الاجتماعي في علم النفس هو العملية التي يتم خلالها دمج الأفراد الجدد أو الأعضاء الجدد في القواعد الاجتماعية للمجموعة الأصلية.

أي وضع استراتيجيات متنوعة لجعل الفرد أو العضو الجديد يندمج ويتفاعل مع المجموعة الذي ينتمي لها. بمعنى آخر، يعتبر مفهوم التكامل الاجتماعي في علم النفس عملية فعّالة ومرتبة يشارك فيها جميع الأعضاء في نقاش لتحقيق العلاقات الاجتماعية السلمية والحفاظ عليها.

المعرفي والشـــخصـــي لدى الطفل ســـواءً داخل البيئة المدرســـية أو الاجتماعيـة، ولا يتم ذلـك إلا عن طريق نقـل ونشـــر العلوم المعرفيـة والعلميـة في شـــتى المواد المدرســـيـة من خلال منهج منظم يتضـــمن احتيـاجـات الطـالـب والمجتمع ككل ودعم القيم الســـائدة في المجتمع بشكل مباشر وصريح في المناهج الدراسية.

ث) **القدرات الإبداع**: تسعى المدرسة بوصفها مؤسسة تربوية تعليمية إلى تنمية القدرات الإبداعية لدى الفرد بواسطة استشارة وتنشيط ملكة الخيـال ومحـاولـة الكشـــف والبحـث عن أســـبـاب حـدوث الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

ج) **التربيـة الـديموقراطيـة**: وذلـك من خلال فتح المجـال أمـام الطلبـة على تعلم قـواعـد وممـارســـة الثقـافـة الـديموقراطيـة في إطـار العلاقـات الإنســـانيـة والاجتمـاعيـة عن طريق الحوار والمنـاقشـــات البنـاءة بين الطلاب في إطار تقبل الآخر والرأي الآخر وتنشـــيط الحركة الثقافية داخـل المـدارس وغيرهـا من الخطوات التي تنشـــئ الفرد على الوعي الديموقراطي، والذي يبدأ من الأسرة، فالمدرسة، والمجتمع. وبهذا نجد أن للمدرسـة دور كبير لا يسـتهان به في عملية تنشـئة اجتماعياً وتربوياً وثقافياً بعد الأسرة باعتبارها المؤسسة الثانية من مؤسسات التنشئة الاجتماعية[5].

---

[5] حبيبة عامر: **الضـبط الاجتماعي و انعكاسـاته على التنشـئة الاجتماعية – دراسـة ميدانية ببلدية بريكة حي النصـر نموذجاً**، قسـم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية والإسـلامية، جامعة الحاج الخضر (باتنة)، السنة الجامعية 2009-2010، ص(90-91).

3- **دور العبادة**: تلعب دور العبادة دوراً حيوياً في حياة ونفوس الأفراد والجماعات بتأكيدها للقيم الخلقية والروحية ودعوتها إلى الاتصال بالخالق عز وجل والامتثال لسننه وشرعه. ولا يخفي ما لهذا من أهمية بالغة في تكوين أفراد المجتمع إيمانياً وأخلاقياً وقيمياً.

بذلك تقوم دور العبادة بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية لما تتميز به من خصائص فريدة أهمها إحاطتها بهالة من التقديس، وثبات وإيجابية المعايير السلوكية، التي تُعلمها للأفراد، والاجتماع على تدعيمها.

وتعدت دور العبادة حدود هذا الدور الروحي والديني، من خلال قيامها أيضاً بالمهام التعليمية والتربوية فمزجت به تدريس المواد الشرعية والدنيوية، على نحو ما تقوم به المدارس النظامية، حيث اتخذت لنفسها مدارس خاصة تزاول فيها هذه المهمة ويتولى رجال الدين التعليم فيها. **أما عن أثر دور العبادة في عملية التنشئة الاجتماعية فتتلخص فيما يلي:**

- تعليم الفرد والجماعة التعاليم الدينية والمعايير السماوية التي تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع.
- تنمية الضمير الأخلاقي عند الفرد والمجتمع.
- الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية السامية إلى واقع عملي أي ربط النظرية بالممارسة.
- توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين مختلف الطبقات الاجتماعية.

- الحث على تفعيل دور التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.
- نشر ثقافة الرحمة ومحبة الآخر والعطف عليه.

وما أحوجنا في هذا الأيام إلى زيادة دور فعالية دور العبادة في الواقع الاجتماعي لما لها من أهمية بالغة في زرع الأخلاق الحميدة والقيم الوسطية النابعة من **القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**. فعن طريق اتباع تعاليم القرآن الكريم وفهمه فهماً صحيحاً سنربي جيلاً مؤمناً يسير في ضوء التعاليم الدينية الإسلامية.

4- **جماعة الرفاق**: تعرف جماعة الرفاق بأنها **جماعة من الأفراد يلتقون في الميول والدو افع والطموحات والاهتمامات الاجتماعية، هو مجتمع تلقائي لم يقم أحد بتنظيمه، لم توضع قواعد وقو انين. إنه مجتمع نابع من حاجة نفسية واجتماعية حقيقية يتميز بأنه مجتمع يستلب قلوب أفراده ويستوعب بسرعة كل فرد جديد ينظم إليه، كما لا يتميز بالتفكير المنطقي، ولا الإحساس بالمسؤولية لدى وضع خططه**[6].

تقوم جماعة الرفاق بدور إيجابي في عملية التنشئة الاجتماعية، عن طريق تأثيرها في معايير الفرد الاجتماعية، كما أنها تمكن الأفراد من القيام بأدوار اجتماعية معينة، بالإضافة إلى وجود الرفاق الذين يشتركون في مرحلة نمائية بمطالبها وحاجاتها.

---

[6] جان شازال: **الطفولة الجانحة**، ترجمة: أنطوان عبدو، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ص(39).

ويتلخص أثر جماعة الرفاق في عملية التنشئة الاجتماعية، فيما يلي[7]:

أ) تنمية الشخصية بصفة عامة واكتساب نمط شخصية جماعة.

ب) المساعدة في النمو الجسمي عن طريق إقامة فرصة ممارسة النشاط الرياضي، والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات، والنمو الاجتماعي عن طريق أوجه الأنشطة التعاونية وتكوين الصداقات، والنمو الانفعالي عن طريق المساندة الانفعالية ونمو العلاقات العاطفية في مواقف لا تتاح في غيرها من الجماعات.

ت) تكوين معايير اجتماعية وتنمية الحساسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية للسلوك.

ث) القيام بأدوار اجتماعية جديدة مثل القيادة.

ج) نمو الولاء للجماعة والمنافسة مع الجماعات الأخرى.

ح) تنمية اتجاهات نفسية نحو الكثير من موضوعات البيئة الاجتماعية.

خ) إقامة فرصة التجريب والتدريب على الجديد والمستحدث من معايير السلوك.

د) تصحيح التطرف أو الانحراف في السلوك بين أعضائها.

ذ) إشباع حاجات الفرد إلى الانتماء والمكانة.

---

[7] زهران حامد عبد السلام: **علم النفس الاجتماعي**، منشورات عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1984، ص(261-262).

ر) إكمال الفجوات وملء الثغرات التي تتركها الأسرة والمدرسة في معلومات الطفل خاصة من النواحي الجنسية.

وفي النهاية، نرى أن **جماعة الرفاق** لها أثر بالغ الأهمية بالتأثير على سلوك الفرد قد يفوق أثر المنزل أو المدرسة ويتأثر هذا السلوك بنوع من العلاقات القائمة بين جماعة الأصدقاء بالعادات والتقاليد، التي تفرضها الجماعة على أفرادها ونوع الجو الاجتماعي السائد فيها، وترجع أهمية هذه الصحبة في عملية التنشئة الاجتماعية بأنها تهيئ للمراهق الجو المناسب للتعامل الاجتماعي في مرحلة الرشد، كما أنها تنتج له فرص التفاعل الاجتماعي مع الآخرين بصفة متكافئة.

وكما لهذه الجماعة **دوراً إيجابياً في عملية التنشئة الاجتماعية، فإن لها دوراً سلبياً** أيضاً في دفع الفرد نحو مهاوي الرذيلة والانحلال، فكم من فرد نشأ على الأخلاق الحميدة والقيم السامية ذهب ضحية **رفاق السوء** نتيجة انحرافه عن معايير السلوك المقبول أخلاقياً واجتماعياً، وكما يقول المثل " **قل لي من تصاحب أقول لك من أنت** ".

بناءً عليه نرى أن جماعة الرفاق سلاح ذو حدين حد يكون إيجابياً يساعد على اكتساب الأخلاق والمثل العليا وتنمية الفرد نفسياً واجتماعياً، وحد سلبي يؤدي إلى الهلاك والفساد والضياع.

5- **وسائل الإعلام**: انطلاقاً من **الثورة التكنولوجية** الهائلة التي حدثت في وسائل الإعلام والتي جعلت من العالم قرية صغيرة، مما جعلها تحتل مكاناً

بارزاً في كل مجتمعات العالم بلا استثناء. فإن الحديث عن وسائل الإعلام وأثرها في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد لا يمكن أن تحصرها دراسات علمية محدودة الأثر، فالاهتمام بها لا زال الشغل الشاغل للعلماء بكافة التخصصات الإنسانية والاجتماعية. حيث تلعب وسائل الاتصال دوراً كبيراً في تكوين ثقافة الفرد.

فإذا كانت الأسرة تنقل إلى الطفل عامةً المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تسود المجتمع، بعد أن تترجمها إلى أساليب عملية التنشئة الاجتماعية، فإن وسائل الاتصال تعتبر امتداداً لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية.

وتتعدد وسائل الإعلام من حيث طبيعتها وأهدافها وجمهورها، فهناك وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والتي قد تختلف كل منها عن الأخرى من حيث قدرتها الإقناعية، فهي تختلف باختلاف طبيعة الفكرة المراد نقلها من ناحية، وباختلاف فئات الجمهور الذي توجه إليه الدعوة، بل وباختلاف طبيعة ووسيلة الاتصال وخصائصها – في حد ذاتها – من ناحية ثالثة. إلا أنه سواء كانت وسائل الإعلام مقروءة أو مسموعة أو مرئية فإنها تلعب دوراً هاماً في تنشئة الأفراد وتنمية شخصيتهم والتأثير فيهم بشكل ملموس.

وتقوم وسائل الإعلام بدور شديد الأهمية في عملية التنشئة حيث إنها تعد من أكثر مؤسسات التنشئة وجوداً وتنوعاً وثقلاً في المجتمع، إذ لا يخلو مكان منها، ومن أهم هذه الوظائف التي تقوم بها:

- تقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور الرابط الاجتماعي بين الناس وتعميق الصلات الاجتماعية بينهم للوصول إلى هدف تنميتها بشكل مستمر.
- إحاطة الناس علماً بموضوعات معينة وذلك بتعرضهم لمعلومات عن جوانب متعددة من الواقع. وذلك من خلال أجهزتها المتعددة والتي تنتشر في كل مكان حيث تعمل على نشر الوعي والمعرفة حول العديد من القضايا التي تهم الناس.
- إغراء الناس واستمالتهم ليسلكوا بما يتفق مع رغبة موجه الرسالة.
- تقوم وسائل الإعلام بتقديم نموذج القدوة للشباب على اعتبار أن نموذج القدوة في إطار التنشئة الاجتماعية يكسب الشباب الأفكار والقيم والمعايير والانفعالات التي تناسب كل أنواع الأدوار الاجتماعية في الأسرة والمهنة والدين والسياسة والتعليم.
- ويمكن الإضافة إلى الوظائف السابقة **وظيفة التثقيف**، حيث تعمل وسائل الإعلام على نقل ونشر مكونات الثقافة في أرجاء المجتمع، مما يساعد على تماسك وترابط أجزاءه وأقاليمه المختلفة في وحدة ثقافية متماثلة هذا من جهة، وعلى ربط المجتمع ذاته بغيره من المجتمعات الأخرى مما يساعد على استيعاب المجتمع لقيم وثقافة الآخر بما يتناسب مع قيمه وثقافته من جهة أخرى.

وقد قام عدد كبير من الباحثين والعلماء بوضع تصنيفات لتأثير وسائل الإعلام وأهدافها، وفي هذا الإطار نستعرض أهم التصنيفات التي وضعها الباحث الأمريكي " **جوزيف كلابر**"، والذي أشار إلى أن اتجاهات تأثير وسائل الإعلام محدودة بالنسبة لأي موضوع، **فأي رسالة تهدف إلى التأثير قد:**

- تخلق آراء أو اتجاهات بين الأفراد الذين لم يكن عندهم أي اتجاهات أو آراء حول الموضوع.
- تدعيم (تزيد أو تؤيد) اتجاهات موجودة فعلاً.
- تقلل من شدة الاتجاهات الموجودة دون أن تحقق تحولاً بالفعل.
- تجعل من الأفراد يتغيرون من قناعاتهم.
- لا يكون لها أي تأثير على الإطلاق على الأقل من الناحية النظرية.

ويمكن الإشارة إلى أهم الأساليب النفسية والاجتماعية التي تتبعها وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية، كما يلي:

1- **التكرار**: حيث تعتمد وسائل إعلام الطفل، شأنها شأن وسائل الإعلام العامة إلى إحداث تأثير معين عن طريق تكرار أنواع معينة من العلاقات والشخصيات والأفكار والصور، ومثل هذا التكرار يعرف الأطفال أشياء كثيرة عن الحياة، وعن مجتمعهم.

2- **الجاذبية**: ومما يضاعف أثر التكرار تنوع الأساليب التي تشد الأطفال إلى وسائل الإعلام العامة.

3- **الدعوة إلى المشـــاركة**: قد يلجأ موجهو بعض وســـائل الإعلام إلى دعوة الأطفال إلى المشـــاركة الفعلية وذلك إما بالكتابة أو الرســـم لإبداء رأي أو حل مشكلة في موضوع معين، وهذا الأسلوب قد يرتبط مع الطفل بإعطائه مكافأة أو تحقيق أمنية له، ولو بذكر اسمه أو نشر صورة له.

4- **عرض النماذج**: وهذه النماذج قد تكون نماذج شخصية يتمثل فيها سلوك معين لشـخص يشـغل مكانة مرموقة في المجتمع مما يخلق القدوة الحســنة لدى الفرد.

ومن هنا يتبين مدى أهمية الدور الذي تلعبه **وســـائل الإعلام في عملية التنشـــئة الاجتماعية للأفراد**، والتي يمكن اعتبارها من أهم المؤســـســـات الاجتماعية، تأثيراً في حياة الفرد. حيث إنها قد تكون أداة فعالة وقوية في نشـر وترســـيخ القيم والقواعد الخلقية والإنســـانية، أو قد تكون أداة لهدم بناء المجتمع بكل قواعده القيمية والأخلاقية. وهو ما يتفق مع ما يشـــير إليه البعض من أن وســـائل الإعلام لها أثرها في تربية وســـلوك النشء، فإذا كانت وسائل الإعلام رديئة المستوى فإن لها أثرها الضار بالمستوى العام والأخلاق.

وفي هذ السياق لا بد من الإشارة إلى **العلاقة المتبادلة بين الفرد ومنصات التواصـــل الاجتماعي تقع في قلب عملية التنشـــئة الاجتماعية**، فلم يعد يستكشف الفرد نفسه من خلال وكلاء التنشئة الاجتماعية المعروفين خاصة الأسرة، إذ تؤثر منصات التواصل الاجتماعية من خلال عملها كقنوات مؤثرة في مشـــاركة المحتوى والعواطف والآراء ونشـــرها، وبناء علاقات مع الجماهير المعروفة أو المتخيلة، ولديها القدرة على إنشـــاء مجتمعات افتراضـــية بســـرعة

هائلة وتكون ذات أهمية للمســتخدمين، حيث يكون نطاق الاهتمامات غير محدود، يستهدف التواصل بين الأشخاص لتحقيق غرض ما (**مثل الإبلاغ عن الحقائق، و إقناع الآخرين، وتكوين انطباعات، والحفاظ على العلاقات**) ويساعدها على ذلك إنشاء محتوى متعدد الوسائط، مليئاً بالتعبيرات الخاصة، ومحملاً بمجموعة واسعة من المشاعر والآراء، ويتحدى اللغة والقواعد الرسمية القياسية، كما ان إعادة استخدام ونشر المحتوى الذي أنشأه أشخاص أو منظمات أخرى هو القاعدة وليس الاستثناء، وبما أن منصات الوسائط الاجتماعية تفتقر إلى التواصل وجهاً لوجه، أو إلى أي تعبير مباشر عن إشارات الوجه أو الجسد التي تشير إلى العواطف أو الإيماءات أو التنغيم أو التركيز. فتلجأ إلى استخدام عوامل التحفيز، مثل: الوجود الاجتماعي، والمحادثة الجماعية، والاتصال السهل أو الإدارة الذاتية، والمعايير الذاتية للمشاركة، ما يؤثر بشكل إيجابي على المشاركة.

وهكذا أصبح **الفيس بوك** (وغيره) بمثابة **مؤسسة اجتماعية**، ويعتبر من أدوات التنشئة الاجتماعية المعاصرة فتنشئة الفرد اجتماعياً بهذه الطريقة، قد يتعارض وقد يتماشى مع قيم وأسس هذا المجتمع، فالفرد ينعزل عن التفاعل الاجتماعي، ويدمن عليها وينخرط في مجتمعات افتراضية، ربما تتعارض مع عاداته وتقاليده وفكره ودينه وينشأ منعزلاً مكتسباً لقيم افتراضية تتعارض مع واقعه الحقيقي، ويعود بالسلب على الأسرة والمجتمع

بصفة عامة، كما يساهم بطريقة غير مباشرة في تحقيق الانسجام والترابط الاجتماعي، وذلك من خلال تلاقي الأفراد والأصدقاء على الشبكة[8].

ومعنى ذلك أن منصات التواصل الاجتماعي **تؤثر على مفاهيم ومو اقف الأفراد المعرفية والسلوكية التي تسعى مؤسسات التنشئة الاجتماعية عادة وخاصة الأسرة إلى إكسابها للفرد**. تسعى الأسرة إلى تلقين طفلها العديد من العادات الصحية الجيدة التي تساعد على نموه الجسدي والصحي بشكل سليم، إحدى هذه العادات هو الحرص على حصول الفرد على فترة كافية من النوم تساعده على التركيز وتدعم نشاطه العقلي، بينما نجد أن منصات التواصل الاجتماعي تدمر هذا السلوك، وتم التأكيد على أن استخدام منصات وسائل التواصل الاجتماعي مرتبط بحرمان المراهقين الذكور والإناث من النوم إما من خلال نوم أقصر أو الاستيقاظ مبكراً لصالح الاستمرار في الأنشطة الاجتماعية عبر الإنترنت، وبسبب عوامل تشتيت الانتباه والشعور بالإلحاح للتحقق من الإشعارات أو المعاناة من صعوبة النوم بسبب كثرة التعرض لإضاءة الشاشات[9].

كما أن إحدى العادات التي تحرص على إكسابها لأطفالها الأسرة عادة تناول الطعام الصحي إلا أن استخدام منصات التواصل الاجتماعي مرتبط

---

[8] عبد السلام الأشهب: **استخدام مو اقع التواصل الاجتماعي " الفيس بوك أنموذجاً " وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية**، رسالة ماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، السنة الجامعية: 2016-2017، ص(43).

[9] ناديه عمر سريجي: **أثر منصات وسائل التواصل الاجتماعي على مؤسسات التنشئة الاجتماعية**، منظمة المجتمع العلمي العربي، الدوحة، تاريخ النشر أغسطس 2021. https://arsco.org/article-detail-31963-8-0

بعلاقة سلبية بسلوك الأكل الصحي، إذ ينشر المؤثرون والمهيمنون على هذه المنصات صوراً غير واقعية عن الأجساد المثالية ما يؤثر على رغبة الفتيات في تناول الطعام للوصول للجسد المثالي المعروض ويدفعهن أحياناً للتوقف عن تناول بعض الوجبات. إضافة إلى أن قضاء الوقت داخل المنزل لمتابعة منصات التواصل يعرض الأفراد لخطر الإصابة بالسمنة. إن تغيير قناعات الأبناء فيما يتعلق بمدة النوم الكافية وسلوك الأكل الصحي وارتباط ذلك إيجابياً بالصحة الجيدة يضع الأسرة أمام تحدٍ قد تعجز أحياناً عن مواجهته.

فيما يتعلق **بالتحديات التي تواجه الأسرة والمجتمع بسبب منصات وسائل التواصل الاجتماعي**. نجد أن **مفهوم الاختراق** يعد أحد أهم التحديات التي تواجه مؤسسات التنشئة الاجتماعية (**الأسرة، والمجتمع**) بسبب منصات التواصل الاجتماعي، فأعلى معدلات اختراقاً للحسابات كانت للمراهقين بين (10 إلى 19) في الدول المتقدمة حسب منظمة الصحة العالمية (2019)، والذي غالباً ما يكون من خلال جمع جهات التسويق للمعلومات التي يشاركها المراهقون عبر الإنترنت للاستفادة منها في الإعلانات والترويج لاستهلاك سلع معينة إذ لدى منصات التواصل الاجتماعي القدرة على قراءة اهتمامات أي شخص وهو أمر مررنا به جميعاً عند البحث عن منتج أو موضوع معين حتى تصلنا رسائل أو إعلانات تتضمن أشياء تشبه ما كنا نبحث عنه، لذا فعلى الأسر دعم وعي أبنائهم بتفعيل الخصوصية على أي منصة مستخدمة من قبلهم وعدم الوثوق بالشركات الدعائية أو الرسائل التي تصلها منهم، ذكرت بعض الدراسات في هذا السياق أن هناك علاقة إيجابية

بين مستوى قلق الوالدين بشأن الخصوصية ومستوى قلق المراهقين بشأن الخصوصية، يمكن للوالدين التأثير على مواقف وسلوكيات أطفالهم من خلال الوساطة الأبوية التي تتضمن مراقبة استهلاك أطفالهم لمنصات التواصل الاجتماعي وإبراز الملف الشخصي في تحفيز المراهقين على زيادة مخاوف الخصوصية عبر الإنترنت، والتي بدورها تدفع المراهقين إلى تبني المزيد من استراتيجيات إعداد الخصوصية على شبكات التواصل الاجتماعي وتعيين ملفاتهم الشخصية على فيسبوك إلى خاصة، عن طريق الوساطة النشطة بمناقشة الوالدين مع الأطفال الجوانب غير المرغوب فيها لمحتويات الوسائط والطرق المرغوبة لاستهلاك الوسائط، ثانياً، الوساطة التقييدية، والتي تشير إلى قواعد وضع الوالدين للتحكم في استخدام الأطفال لوسائل الإعلام من حيث محتوى الوسائط المناسب ووقت عرض الوسائط[10].

تسعى كل من الأسرة والمجتمع بمؤسساته إلى تنمية الدوافع الإبداعية لدى الفرد لمساعدته على التطور والنمو ودفع عجلة التنمية، من خلال تحقيق الاندماج الاجتماعي والتعلم وتنمية المهارات المختلفة، لتتدخل منصات وسائط التواصل الاجتماعي مسببة إعاقة هذه العملية عبر تأثيراتها، أحد هذه المؤثرات هو ظهور الاكتئاب نتيجة الاستخدام المفرط لوسائل التواصل الاجتماعي، فالسعي المستمر للحصول على **القبول والوعي الذاتي من خلال البقاء على اتصال مع الأقران**، وكثافة التواصل الاجتماعي في عالم الإنترنت والذي يتطلب مشاركة مستمرة، يؤدي إلى ما يعرف بـــ **اكتئاب الفيس بوك**،

---

(10) المرجع السابق نفسه.

والذي يعرض لخطر العزلة الاجتماعية واللجوء إلى مواقع الإنترنت والمدونات الخطرة للحصول على المساعدة، التي قد تروج لتعاطي المخدرات والممارسات الجنسية غير الآمنة والسلوكيات العدوانية والمدمرة للذات. أجرت الباحثة **جوان دافيلا وزميلتها ليزا ستار في جامعة ستوني بروك** دراسة لإثبات الارتباط بين **الاكتئاب ووسائل التواصل الاجتماعي**، على عينة من الفتيات المراهقات، وكشفت الدراسة أن الاستخدام المفرط لموقع الفيس بوك يجعل الفتيات أكثر عرضة للإصابة بالاكتئاب والقلق. وبعد عام، أعاد الباحثون تقييم المجموعة بحثاً عن أي علامات للاكتئاب أو القلق، وأثبتت نتائج الدراسة أن المستخدمين الذين ناقشوا مشاكلهم مع الأصدقاء بشكل متكرر، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، عانوا من مستويات أعلى من القلق من أولئك الذين لم يفعلوا ذلك. ووفقاً **للباحثة دافيلا** أن الرسائل الفورية والشبكات الاجتماعية تجعل من السهل جداً على المراهقين أن يصبحوا أكثر قلقاً، مما يؤدي إلى الاكتئاب، لأن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت وسيلة انتقال لهذه المناقشات المتكررة، مما يسمح بإعادة صياغة المناقشات باستمرار حول مشاكل هؤلاء الفتيات، مما يجعلهن مهووسين بـ المشكلة ويمنعهن من المضي قدماً في الحياة. ووسائل التواصل الاجتماعي الآن هي القناة الأساسية للمراهقين للتنفيس عن المشاكل الحالية في حياتهم، وبالتالي عندما ينشر مراهق مشكلة عبر الإنترنت، فمن المحتمل أن يتلقى تعليقات إيجابية أو سلبية، مما يتسبب في تطوير هوسه بشأن المشكلة المنشورة

وبمجرد مشاركة شيء ما عبر الإنترنت، لا يمكن استعادته أبداً حتى إذا حذف المنشور، مما يؤدي بالمرسل إلى مزيد من الاكتئاب والقلق.

إضافة إلى ذلك، فإن أحد أهم التحديات التي تواجه مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة والمجتمع، هو تمكين الأنشطة الإجرامية من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، فقد أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي أداة للمجرمين والمفترسين والإرهابيين لتمكينهم من ارتكاب أعمال غير قانونية، من خلال استغلال العديد من المجرمين وسائل التواصل الاجتماعي لإخفاء هويتهم وارتكاب العديد من الجرائم مثل: **التنمر الإلكتروني والإرهاب السيبراني والابتزاز والتشهير والاتجار بالبشر والاتجار بالمخدرات**[11]. وعلى **المستوى الأخلاقي والقيمي** نجد في الفيس بوك عدد من الصفحات التي تسعى جاهدة إلى ترسيخ القيم الاجتماعية والثقافية والدينية في عقول الأفراد، وبالعكس هناك ما يهدف إلى غرس الرذيلة والفاحشة، وتهديم قيم الفرد والمجتمع، بالإضافة إلى عدم وجود موانع، أو حدود للممنوعات الثقافية كالمجموعات الإباحية والمثلية والقمار والتحريض[12].

وهكذا أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي واحدة من أهم المنصات لربط البشر من كل مكان في العالم، كأداة اتصال وتفاعل، وقد تم إنشاؤها لبناء

---

[11] لمزيد من القراءة والاطلاع حول هذه **الجرائم والتجاوزات** انظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر: **مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الإنساني**، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، ص(52 وما بعدها).

[12] عبد السلام الأشهب: **استخدام مواقع التواصل الاجتماعي " الفيس بوك أنموذجاً " وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية**، مرجع سبق ذكره، ص(41).

العلاقات والحفاظ عليها بغض النظر عن القيود الجغرافية أو الزمنية، ومع ذلك فقد زادت وسائل التواصل الاجتماعي من وظيفتها بشكل أساسي من خلال تأثيرها على التنشئة الاجتماعية ومنافسة مؤسسات التنشئة التقليدية في القيام بدورهم، نتيجة استخدامها وتوظيفها في مجالات متنوعة، عبر زيادة الاتصال والتعبئة والتمايز والتوسع المكاني وهو ما له عواقب بعيدة المدى على عمليات التنشئة الاجتماعية، مثل تشويش التفاعلات الاجتماعية وتحولات الأدوار وغير ذلك كثير. ولا نغفل عن أن تجارب التنشئة الاجتماعية تؤثر أيضاً على طريقة استخدام الناس لمنصات وسائل التواصل الاجتماعي وللتعامل معها كنشاط اجتماعي ثقافي، هذا أيضاً له أهمية تجريبية تظهر عبر أنماط الاتصال والروابط التي يسعى الأفراد لتحقيقها[13].

وفي النهاية، يمكننا القول بأن ما تم استعراضه من مؤسسات التنشئة الاجتماعية ليست هي في حقيقة الأمر كل المؤسسات، وإنما تعتبر أهم المؤسسات الفاعلة والواضحة عند المتخصصين وغير المتخصصين، فهناك على سبيل المثال النوادي الترفيهية والرياضية وبعض الجمعيات الثقافية والاجتماعية التي ينضم إليها الفرد، دون أن ننسى الدور الهام الذي يلعبه **الشارع** في تنشئة أفراد المجتمع. فالمؤسسات الاجتماعية والتربوية ما دامت تسعى إلى تربية وتنمية وتنشئة الفرد في كافة النواحي، فمن الضروري أن يكون

---

[13] ناديه عمر سريجي: **أثر منصات وسائل التواصل الاجتماعي على مؤسسات التنشئة الاجتماعية**، مرجع سبق ذكره.

هناك تناغم وتعاون وتنســيق فيما بينها داخل البناء الاجتماعي حتى لا يختل توازن الأفراد، على الرغم من أن كل مؤسسة تضطلع باختصاص معين.

ثانياً- أساليب المعاملة الوالدية في التنشئة الاجتماعية:

أكد الكثير من الباحثين في مجال علم الاجتماع والتربية على أهمية الجو الأسري في إتمام عملية التنشئة الاجتماعية السوية. فمن حق الطفل أن ينمو في أسرة مستقرة يسودها **التو افق، والوئام، والمحبة، والألفة**. وأن يعيش مع إخوته ويشـــاركونه حياته الأســرية. فلكل فرد من أفراد الأســرة وبالأخص الوالدين دور لا غنى عنه في التأثير على نمو الطفل من الناحية العقلية، والنفسية، والاجتماعية.

لذا يتم بشكل دائم التأكيد على أهمية الأساليب التي يمارسها الوالدين في معاملتهم لأطفالهم، لأنها تمثل حجر الزاوية الأهم في بناء شخصيتهم، التي قد تكون سوية أو مضطربة، فأثر تلك المعاملة يظهر بوضوح في **سن الرشد**.

وفي واقع الأمر، نجد أن معظم الأساليب التي يمارسها الوالدين في معاملة أبنائهم، ما هي إلا انعكاس مباشــر لما تعرضــوا له من معاملة خلال تنشــئتهم الاجتماعية. ويبدو ذلك جلياً حين يمارس الآباء والأمهات مع أطفالهم نوعاً من المعاملة التي كانوا يتلقونها أثناء طفولتهم أي إعادة إنتاج ذواتهم مع أطفالهم.

- **مفهوم أســاليب المعاملة الوالدية**: تعددت المفاهيم الخاصــة بأســاليب المعاملة الوالدية نظراً لتعدد هذه الأســاليب. وكذلك تنوع طرقها وتداخلها، هذا بالإضــافة لاختلاف طرق قياســها، والأطر النظرية والمنهجية التي يســتند

إليها الباحثون، وفي هذا السياق سنحاول استعراض بعض التعاريف بغية التوضيح والوصول إلى **تعريف جامع شامل لمفهوم أساليب المعاملة الوالدية**، وهي كالآتي:

1. الإجراءات التي يتبعها الوالدان في تنشئة أبنائهم اجتماعياً، أي تحويلهم من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية.
2. تلك الأساليب العديدة التي يأخذُها الآباء في اعتبارهم للعمل على تنمية السلوكيات الاجتماعية الإيجابية لأبنائهم.
3. كل سلوك يصدر عن الأم أو الأب، أو كليهما، ويؤثر على الطفل ونمو شخصيته، سواء قصدا بهذا السلوك التوجيه والتربية أم لا، وتتحدد في الأساليب التالية: (**الرفض، القسوة، الحماية الزائدة، التذبذب، التحكم، الإهمال، التفرقة في المعاملة، إثارة القلق، الشعور بالذنب**).
4. إنها تلك الطرق الإيجابية والسلبية التي يمارسها الوالدان مع أبنائهم في مواقف حياتهم المختلفة، ومحاولة غرسها في نفوسهم تمسكاً منهما بعادات المجتمع وتقاليده، وتقاس عن طريق تعبير الوالدان أو استجابة الأبناء.
5. إنها مجموعة من السلوكيات التي يمارسها الآباء أو الأمهات في مختلف المواقف خلال تربيتهم وتنشئتهم لأبنائهم.
6. هي الأساليب التي يتلقاها الأبناء من الآباء والأمهات في مواقف الحياة المختلفة، والتي نتعرف عليها من خلال التقارير اللفظية للأبناء،

وتتمثل هذه الأساليب في: (**التقبل، التسامح، الرفض، الشدة، الاستقلال، التبعية، الإهمال، المبالغة في الرعاية، عدم الاتساق، التذبذب**).

7. هي كل ما يراه الآباء ويتمسكون به من أساليب في معاملة الأطفال في مواقف حياتهم المختلفة، كما يظهر في تقريرهم اللفظي عن ذلك.

من خلال ما تقدم نستنتج من التعاريف السابقة لأساليب المعاملة الوالدية أنها تتحدد في اتجاهين أساسيين ومختلفين أحدهما سوي ويبعث على الأمن، والاستقرار، والتوازن، التقبل، التسامح، الاستقلال، في أسلوب التنشئة، والآخر غير سوي ويبعث على الاضطراب النفسي والاجتماعي ويتحدد في أساليب الرفض، والقسوة، والعقاب، والإهمال، والتفرقة، التبعية، وغيرها. ولكن رغم اختلافهما إلا أنهما يؤكدان على مضمون واحد وهو أن المعاملة الوالدية تعبّر عن أشكال التعامل المختلفة المتبعة من قبل الوالدين مع أبنائهم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وإدراك الأنباء لهذا التعامل وما يعنيه بالنسبة لهم هو العامل المهم الذي يحدد إلى أي مدى ستكون تلك الأساليب إيجابية أو سلبية بالنسبة لهم خاصةً مرحلة الرشد.

وفي النهاية يمكننا تعريف **أساليب المعاملة الوالدية**: " **بأنها مجموعة الإجراءات والممارسات، التي يتبعها الوالدان في توجيه وتطبيع أبنائهم بأنماط السلوك الاجتماعي المتو افق مع قيم ومعايير وعادات وتقاليد المجتمع. وهي أساليب اختيارية وذاتية يؤثر فيها نمط شخصية الوالدين ومستواهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وطبيعة إدراكهم لمفهوم**

الطفولة والتفاعلات الأسـرية والتربوية والاجتماعية. إضـافةً إلى مسـتوى ثقافة المجتمع وحضارته ".

إن **لكل ثقافة ولكل مجتمع من المجتمعات أساليبه الخاصة به في عملية التنشئة الاجتماعية** عموماً والأسرة خصوصاً. لذا تختلف أساليب التنشئة الاجتماعية من حيث أهدافها ومعاييرها من مجتمع لآخر بل من أسـرة لأخرى بسـبب اختلاف الظروف والأوضـاع الاجتماعية، والاقتصـادية، والثقافية المحيطة بها. كما أنها لا تسـير على وتيرة واحدة خلال مراحل النمو المختلفة للفرد، لذلك فهو تختلف وتتداخل. وعلى العموم تنقسـم أسـاليب التنشـئة الاجتماعية إلى **نمطين أساسيين**، وهما كالآتي:

1- أساليب المعاملة الوالدية في التنشئة الاجتماعية اللا سوية (الخاطئة): وهي مجموعة من الأساليب السلبية ذات الطابع اللفظي أو المادي، التي تصدر عن أحد الوالدين أو كليهما أثناء عملية التنشـئة أو التعامل مع الأبناء داخل الأسـرة في مختلف المواقف اليومية، مما ينعكس سـلباً على سـلوكياتهم ومستوى توافقهم النفسي والاجتماعي. وتنحصر عموماً بالأساليب التالية:

أ- **الحماية الزائدة:** وهي الإفراط في رعاية الآباء لأطفالهم والمغالاة في حمايتهم والمحافظة عليهم والتدخل في كل شـؤون حياتهم. فينشـأ أطفال غير مسـتقلين اتكاليين يعتمدون على الآخرين في قضـاء حاجاتهم، ولا يسـتطيعون مواجهة ضـغوط الحياة. ومن أهم مظاهر هذا الأسـلوب الاحتكاك والاتصـال المادي الزائد بالطفل، ومنعه من الاسـتقلال في سـلوكه، ومراقبة تصـرفاته والتحكم بها بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

ومن أخطر نتائج هذا الأسلوب على الطفل أنه ينمي الاعتمادية الزائدة فيه، انعدام التركيز، وعدم النضج، عدم القدرة على تحمل المسؤولية، عدم الثقة بالنفس، والحساسية بشكل مفرط للنقد.

ب- **الإهمال**: ويتجسد الإهمال من خلال ترك الوالدين للطفل دون تشجيع على ممارسة السلوك الاجتماعي المرغوب فيه، وكذلك عدم محاسبته على السلوك غير المرغوب فيه. من أهم أشكال وصوره عدم إنصات الوالدين إلى حديث الطفل، أو إهمال حاجاته الشخصية، أو عدم توجيهه وإسداء النصيحة له، أو عدم مكافئته أو مدحه في حال نجاحه.

ومن الأسباب التي تؤدي إلى إهمال الوالدين لأطفالهم انشغال الأهل بتصفح واستخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو بالعمل لأوقات طويلة خارج المنزل وبالأخص عمل المرأة، بالإضافة إلى كثرة أفراد الأسرة وضيق المكان وانخفاض مستوى الدخل المادي للأسرة، أو بسبب عوامل التفكك الأسري التي تؤدي في أغلب الأحيان إلى حالات الطلاق وبالتالي حرمان الطفل من العيش بأجواء أسرية سوية يسودها المحبة والوئام.

ومن أهم النتائج المترتبة على هذا الأسلوب أن يفقد الطفل الإحساس بمكانته عند أسرته، وغالباً ما يحاول أن ينضم إلى جماعة يجد فيها مكانته حيث العطاء والحب الذي حرم منه، وقد تشجعه هذه الجماعة على أن يكون مخرباً وخارجاً على القانون، وذلك لأنه لم يعرف في صغره الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته، وبين الصواب والخطأ، وبالتالي يصبح شخصية غير منضبطة فاقداً للحساسية الاجتماعية التي افتقدها في أسرته. كما يشعر

الطفل بأنه غير مرغوب فيه وبالإحباط والقلق وبعدم الانتماء للأسرة والمجتمع، إضافةً إلى كراهية الوالدين والسخط عليهما والرغبة بالانتقام.

ج- **التذبذب***: ويتمثل في عدم الاتساق في المعاملة الوالدية للطفل، بحيث إن الوالدين لا يعاملان الطفل معاملة واحدة في الموقف الواحد، بل هناك تذبذباً قد يصل إلى درجة التناقض في الموقف الواحد. وهذا يجعل الطفل لا يستطيع أن يتوقع رد فعل والديه إزاء سلوكه، كذلك يدرك الطفل من خلال هذا الأسلوب أن معاملة والديه تعتمد على الحالة المزاجية والوقتية، وأنه ليس هناك أساس ثابت لسلوك والديه نحوه.

كما يؤدي اختلاف وجهات النظر التربوية بين الوالدين في تنشئة الطفل إلى مثل هذا الأسلوب، **كأن يؤمن أحدهما بالصرامة والشدة والآخر باللين وتدليل الطفل**، أي الاختلاف في إتباع الطريقة الحديثة أم التقليدية بالتربية. فعلى سبيل المثال نجد أن الأب بالثقافة الشرقية يمثل مصدراً للعقاب والشدة والقوة لأن مفهوم الرجولة عند الغالبية هو الخشونة والقوة. أما الأم بنفس الثقافة تعامل طفلها بحنان وحب زائد باعتبارها مصدر الحنان والحب دون أي التفات للآثار السلبية لمثل هذا الاختلاف في المعاملة بين الأم والأب على شخصية الطفل، مما يؤدي إلى أن يكره الطفل والده ويميل إلى الأم، وقد يحدث العكس بأن يتقمص الطفل صفات الخشونة من والده، كما يؤدي إلى ضعف الولاء لأحد الوالدين أو كليهما.

---

* **التذبذب** أي التردد، شخص متذبذِب المزاج: متقلِّب، لا يثبت على رأي، **متذبذب** : متأرجح، متغير، لا قرار له.

وعلى العموم يؤدي هذا النمط من التعامل إلى اختلال معايير السوء والانحراف عند الطفل، فلا يعرف هل هذا السلوك صحيح أم خطأ لأنه مرة يكافأ عليه ومرة يعاقب عليه، مما يفقد الثقة في والديه وهما القدوة والمثل الأعلى أمامه على الصعيد الاجتماعي.

أما على **الصعيد النفسي** فإن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدة أو القبول والرفض من أشد الأمور خطراً على صحته النفسية، فكثير من الانحرافات التي تظهر في الكبر ترجع إلى ما يتعرض ترجع إلى ما يتعرض له الطفل من صراع حاد في المواقف الطفولة ويحدث هذا نتيجة لتذبذب الكبار في معاملة الطفل بالنسبة للموقف الواحد، مما يعيق الطفل في تكوين توقعات مستقر، بالإضافة إلى شخصية متقلبة، ازدواجية منقسمة على نفسها بالتعامل مع الآخرين.

د- **التسلط والتشدد**: ويقابله على الطرف الآخر الديموقراطية والتسامح. ومن معالم الأساسية لهذا الأسلوب الضبط المفرط لسلوك الأبناء، والصرامة في معاملتهم، وإلزامهم الطاعة العمياء، والخضوع لما يملى عليهم من تعليمات من قبل الآباء بحيث لا يمنحون الفرص اللازمة للتعبير عن استقلالهم وإرادتهم، كما ينطوي هذا الأسلوب في المعاملة على رفض آراء الطفل ولومه ونقده وعقابه وحرمانه وإرغامه قسراً والتخويف المستمر من العقاب، وربما إذلاله.

وهكذا ينشأ الأبناء في جو أسري يتصف بسلوكيات تسلطية دكتاتورية بل يتحولون إلى اعتمادين ضعيفي التأثير، وإلى التعلق المصطنع بالوالدين، وإلى الطاعة العمياء.

وفي جميع الأحوال يؤدي هذا النمط من التعامل إلى إنماء مشاعر التهديد والخوف والقلق وخلق ضمير صارم متزمت لدى الأبناء، وتصاعد مشاعر العدائية تجاه السلطة الوالدية وربما تعميمها إلى ما يماثلها، كما يؤدي بالطفل إلى الاستكانة والخضوع وإلى قتل روح المبادأة والاستقلالية لديه، وربما يدفع به إلى الهروب من المنزل التماساً لبيئة اجتماعية أقل تقييداً وأكثر تحرراً، مما قد يسلمه إلى رفاق السوء وتبني سلوكيات عدوانية ومضادة للمجتمع[14].

هـ- **التفرقة بين الأبناء**: يتمثل في عدم المساواة بين الأبناء، وتكون التفرقة بينهم بسبب النوع (ذكراً أم أنثى)، أو ترتيب المولود، أو لأي سبب آخر. **فعلى سبيل المثال نجد أن الوالدين يميزان في المعاملة بين الذكر أو الأنثى بسبب معايير المجتمع الذكوري فما يقوم به الولد من سلوك قد ترفضه الأسرة إذا ما قامت به البنت، كما قد يكون التمييز لأنه من الناحية العلمية، أو لأنه يمتلك صفات جسمية تميزه عن باقي إخوته.**

ويؤدي هذا الأسلوب إلى الإساءة إلى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل عموماً، حيث يزرع الحقد في نفس الطفل المغلوب على أمره، ويجعل من

---

(14) انظر آمال كزيز: **الممارسة الثقافية في التربية والتعليم**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2018، ص(21-22).

الطفل المفضل والمدلل لدى والديه إنساناً أنانياً ومغروراً ومتسلطاً، يحب أن يستحوذ على كل شيء حتى لو على حساب الآخرين.

و- **تسامح الوالدين**: ويعني هذا الأسلوب الإفراط في التسامح والتساهل مع الأبناء، مما يؤدي إلى مشكلات في التوافق النفسي والاجتماعي لدى الطفل إلى جانب ميل الطفل للعدوان والتسلط، لأنه يتوقع التساهل من قبل والديه إزاء أي سلوك عدواني أو خارج عن المعايير الاجتماعية، وما يلبث أن يتعرض الطفل إلى الاضطرابات النفسية والاجتماعية نتيجةً للإحباطات عند احتكاكه بالعالم الخارجي، فهو لم يعتاد الإحباط في طفولته المبكرة، وقد تتخذ هذه الاضطرابات النفسية والاجتماعية أشكالاً شتى مثل: **قضم الأظافر، وثورات الغضب، وعدم الرغبة بالانصياع للمعايير والضوابط الاجتماعية.**

ز- **إثارة الألم النفسي**: ويتمثل هذا الأسلوب في جميع الأفعال التي تعتمد على إثارة الألم النفسي، وقد يكون ذلك عن طريق إشعار الطفل بالذنب كلما أتى بسلوك غير مرغوب فيه، كما يكون ذلك عن طريق تحقير الطفل والتقليل من شأنه. وفي بعض الأحيان يلجأ الوالدان إلى البحث عن أخطاء الطفل ويبدون ملاحظات هدامة مما يفقد الطفل ثقته بذاته، وغالباً ما يترتب على هذه المعاملة شخصية انسحابية منطوية غير واثقة في نفسها، توجه عدوانها نحو ذاتها.

من أهم مظاهر هذا الأسلوب أيضاً استثارة غيرة الطفل بمقارنته بالأطفال الآخرين، كذلك استخدام الشتم واللعنات والكلمات الجارحة والسخرية منه.

يعتمد هذا الأسلوب من المعاملة على القسوة كعنصر أساسي في تنشئة الطفل، فالقسوة تولد الكراهية للسلطة الوالدية ولكل من يمثلها، فيتخذ الطفل من الكبار ومن المجتمع عامةً موقفاً عدائياً. كما تنمي العدوانية عند الطفل وتؤدي إلى تقمص دور الوالدين بشكل سلبي بالعلاقات الاجتماعية.

وأي شكل من أشكال العنف والقسوة في التعامل مع الأبناء يعد سوء معاملة. فالأب المفرط بالإساءة لابنه يكون أباً مريضاً يحتاج إلى علاج نفسي وفي أغلب الأحوال هو فرد أسيئت معاملته وهو طفلاً (أي إعادة إنتاج الذات مع أبنائه). وهناك المقولة التي تبين أن " **لا يوجد طفل غير سوي بل توجد أسرة غير سوية** ".

ح- **العقاب البدني**[15]: يتمثل هذا الأسلوب في استخدام العقاب البدني (الضرب)، والتهديد به، أي كل ما يؤدي إلى إثارة الألم الجسدي.

ويعتبر هذا الأسلوب من أسوأ وأخطر أساليب المعاملة الوالدية على الإطلاق لما له من منعكسات وتأثيرات سلبية على التكوين النفسي والاجتماعي. حيث يرفض المتخصصون في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع العقاب البدني، لأنه يحل المشكلة مؤقتاً، حيث يستسلم الطفل أو يخاف ويمتنع عن السلوك الخاطئ. ولكنه لا يعلم الطفل شيئاً جديداً، والعقاب البدني مرتبط بانفعال الشخص الذي يعاقب، وهذه أخطر قضية في موضوع العقاب، حيث نفاجأ أحياناً بأن أباً كسر يد ابنه، وهنا نفهم أن العقاب البدني دائماً لا

(15) لمزيد من القراءة والاطلاع انظر: نرمين حسن السطالي: **سيكولوجية العنف وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء**، دار السعيد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018.

يعبر عن مقدار الخطأ بل يعبر عن مقدار انفعال الوالدين. فحين يقوم الأب بمعاقبة ابنه على كسر كوب من الزجاج داخل المنزل مثلاً، ينفعل ويعاقبه عقاباً شديداً لا يستحقه هذا الخطأ، هنا نقول إن العقاب على قدر الانفعال وليس على قدر الخطأ.

ويترك أسلوب العقاب البدني آثاراً عديدة على شخصية الطفل، فيصبح انطوائياً ويتضخم لديه الشعور بالذنب، حيث إن الشخص الذي يعتدي عليه يشعره دائماً أنه أخطأ وأنه يستحق هذا العقاب، فتقل ثقته في نفسه، ويجد صعوبة في تكوين الصدقات أو تجربة شيء جديد لتخوفه من الفشل ويميل إلى الكذب ويواجه مشاكل في التحصيل الدراسي، والتركيز، وأحياناً يصبح عدوانياً. كما أن من النتائج الخطيرة لأسلوب العقاب البدني إعاقة عملية تكوين **الأنا الأعلى عند الطفل** مما يجعله يفتقر إلى الرقابة الذاتية - حيث يقوم الطفل بتعديل بنفسه – ويخشى العقاب ويخاف من السلطة إذا كانت حاضرة أمامه، ولا يأبه بها إذا كانت غائبة عنه.

وفي النهاية يترتب على هذا الأسلوب إنتاج شخصية متمردة عدوانية تنزع إلى الخروج عن قواعد السلوك السوي المرغوب فيه اجتماعياً كوسيلة للتنفيس ذاتها من خلال ممارسة عدوانها نحو الآخرين. وحينما يصبح الطفل مراهقاً يمكن أن يشترك في الجوانب التي تدمر الذات مثل التدخين أو إدمان المخدرات أو الاشتراك في الأنشطة المضادة للمجتمع.

2- **أساليب المعاملة الوالدية في التنشئة الاجتماعية السوية:** هي مجموعة من الأساليب السوية والإيجابية التي يمارسها القائمون على عملية التنشئة

الاجتماعية بهدف تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي لأفراد المجتمع، وتطبيعهم بالأنماط السلوكية المقبولة اجتماعياً وقيمياً وأخلاقياً، مما يؤدي إلى الاندماج الاجتماعي السوي.

أ- **أسلوب التقبل الوالدي**: التقبل هو موقف تفاعلي وتكاملي بين الوالدين وأبنائهم، ويتمثل بمدى الحب الذي يبديه الوالدين للطفل من خلال تصرفاتهما نحوه في مختلف المواقف اليومية، وهو أيضاً الرضا عن الطفل والاعتزاز به والإحساس بأهميته ومكانته في الأسرة.

والتقبل هو قبول الطفل كما هو دون محاولة تغييره أو الاستهزاء بأعماله والالتفات إلى محاسنه أكثر من أخطائه، وفهم مشكلاته وهمومه والتحدث إليه بدفء عاطفي يجعله ينسى همومه وغضبه إذا كان خائفاً وتطيب خاطره إذا كان حزيناً وقضاء وقت طويل معه والاستمتاع بالعمل والخروج معه وجعله يحس إحساساً عميقاً بالود والصداقة منذ بواكير أعوامه الأولى عن طريق الابتسامة التي تنمي فيه المحبة وتبعث في نفسه الود والثقة والحنان الأبوي.

وقد أكد علماء التربية والاجتماع إلى أن تقبل الأم لطفلها شرطاً ضرورياً لتنشئته نشأة اجتماعية سوية وفعالة والنقص في هذا الجانب يؤدي إلى زيادة مقاومته لتمثل معايير وقواعد ألم المجتمع الذي يعيش فيه، وبناءً على ذلك فإن النبذ من قبل الأم كثيراً ما يؤدي إلى أن يصبح سلوك الطفل سلوكاً عدوانياً ومضاداً للمجتمع.

ب- **أسلوب المساندة العاطفية**: إن الروابط الأسرية القائمة على العلاقات العاطفية تساعد على النمو السليم للأبناء والعكس هو صحيح. فالطفل المحبوب يشعر بالثقة في نفسه وفي الآخرين وينظر إلى الحياة نظرة متفائلة ويتعامل مع الأمور بواقعية.

كما أن الجلوس مع الطفل واستمتاع الوالدين بأحاديثه يدخل السعادة والسرور إلى قلبه، فيشعر الطفل بأنه أهم شخص في حياة أبويه. فهذا الأسلوب المعتاد والمنسق اتجاه الطفل يتضمن قدراً من سعي الوالدين إلى إشباع رغباته وحاجاته والتضحية والتفاني في سبيل رفاهيته. مما ينعكس بشكل إيجابي على تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي بالاتجاه السوي السليم.

لكن يجب على الوالدين الحذر الشديد عند التعامل مع طفلهما بهذا الأسلوب حتى لا يفهم الطفل معاملة والديه بشكل سلبية لا يحترم فيها القواعد والأنظمة الاجتماعية، فلا بد من أن يقترن بأسلوب ضبط الوالدين ويقصد به قدرة الوالدين على التدخل في الوقت المناسب حتى لا يصل الطفل إلى درجة التسيب ويكون بالإقناع والمحاورة والمناقشة وحثه على السلوك المقبول اجتماعياً.

ج- **أسلوب تقبل الفردية المعتدلة**: ويعني ذلك اعتبار الطفل فرداً كاملاً سوياً له الحق في يحيا طفولة تحترم حقوقه الفردية. ويتمحور تطبيق هذا الأسلوب حول السماح للطفل بالتحدث إلى والديه بحرية وتلقائية في حدود الأدب والاحترام المتبادل بينهما، كذلك إعطاء الطفل هامشاً من الحرية للتعبير عن

ذاته وتطلعاته ورغباته وآرائه تجاه القضايا والمشاكل التي قد تعترضه خلال مرحلة الطفولة.

إن تقبل الفردية أسلوب من أساليب المعاملة الوالدية الإيجابية التي يدرك منها الطفل أنه إنسان فريد من نوعه بالنسبة لوالديه له الحق في التعبير عن ذاته ورغباته دون إكراه أو إرغام مما يؤدي إلى بلورة شخصيته بشكل سوي خالٍ من العقد النفسية والاجتماعية، وبالأخص فيما يتعلق بالكبت والخجل وعدم القدرة على مواجهة المواقف.

د- **أسلوب التعامل الديموقراطي**: يقصد به البعد عن فرض النظام الصارم على الأطفال والتشاور المستمر معهم واحترام آرائهم وتقديرها، وإتباع الأسلوب الإقناع والمناقشة التي تؤدي إلى خلق جو من الثقة والمحبة. بمعنى آخر، **يعتمد هذا الأسلوب على منح المكانة المتساوية لجميع أفراد الأسرة من حيث الحرية والمساواة والمكانة المتساوية وحق إبداء الرأي والمناقشة الحرة واستقلال الشخصية والمكانة المتساوية بين الأطفال دون تفرقة.**

كما يعتمد هذا الأسلوب على العقلانية والوسطية والتوازن في الصرامة والجد واللين في تنشئة الأبناء والتقبل الفعلي لهم وتحاشي القسوة الزائدة والدلال الزائد وكذلك التذبذب بين الشدة واللين والتوسط في إشباع حاجات الطفل الجسمية والنفسية والاجتماعية، بحيث لا يعاني من الحرمان ولا يتعود على الإفراط في الإشباع، بحيث يتعود على قدر من الفشل والإحباط، وذلك لأن الحياة لا تعطيه كل ما يريد، كما يمتاز هذا الأسلوب بوجود تفاهم مشترك بين الأب والأم على أسلوب التربية.

إن أسلوب **المعاملة الديموقراطي** ليس حكراً على مرحلة عمرية معينة بل يمتد إلى مراحل أخرى. ولعل من أهم مظاهر هذا الأسلوب قيام علاقات أسرية جيدة بين الآباء والأبناء قائمة على احترام الرأي والرأي الآخر. **فالاختلاف بالرأي لا يفسد بالود قضية**، بحيث يمكن التوفيق بين الطرفين باستخدام العقل والمنطق وليس بطريقة الفرض والإكراه.

كما يعتبر **الحوار** من أهم مظاهر هذا الأسلوب باعتباره قيمة حضارية وإنسانية ودينية، يجب أن يعمل بها الأولياء في ممارساتهم التربوية والأسرية اليومية، فهو من ناحية يخلق التفاعل الدائم بين الطرفين أو الأطراف المتحاورة. كما أنه يزيل الغموض ويوصل إلى كشف الحقائق الغائبة عن ذهن الأولياء المتعلقة بحياة أبنائهم وخاصة في مرحلة المراهقة. وفي النهاية يعتبر الحوار من أهم الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي يدفع إلى تعديل السلوك الاجتماعي نحو الأفضل وترويض النفس على قبول النقد واحترام آراء الآخرين، والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية.

خلاصة القول إن **موقف الأسرة والمجتمع من قضية الطفل وأساليب التنشئة الاجتماعية** ما هو إلا محصلة طبيعية **للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية**، وتظهر الحاجة في وقتنا الحالي إلى استنهاض التربية، وإعادة صياغة التفكير الجمعي حول الطفولة وحاجاتها ومكانتها وحقوقها والشروط التربوية المناسبة لنموها. ويجب على المؤسسات التربوية المعنية بالطفولة المبكرة، خصوصاً الأسرة، أن تجعل الحوار قاعدة في التعامل مع

الصغار، حيث أصبح التفاعل القائم على الحوار من الأسس المهمة التي تتيح للطفل النمو المناسب، كما يجب تجنب الأساليب القمعية وتجنب إصدار الأوامر والنواهي، والتقليل من القيود وجعلها في حدودها الدنيا.

طبعت **الأساليب التسلطية سلوك الأسرة العربية** بطابعها منذ قرون، ولم تعد مناسبة في هذا العصر، بل أصبحت تعرقل نمو الطفل وتطوره. ولا بد من مراجعة شاملة وإعادة النظر في المعتقدات وفي الأسس الثقافية المتعلقة بطرق التعامل مع الطفل وأساليب التفاعل معه في مواقف الحياة اليومية، بما يتوافق مع المعطيات الحديثة للعلوم النفسية والتربوية.

يحتاج **الطفل إلى الحرية**، حرية الحركة في المكان المناسب، حرية التعبير، حرية اللعب، حرية طرح الأسئلة، حرية التعرف إلى العالم الخارجي، وحرية التفاعل مع الآخرين. فالطفولة لا تحتاج إلى التشدد ولا إلى كثير من القيود. ولا تنمو الطفولة نمواً سوياً إلا في إطار من الحرية والمحبة والفرح والتفاؤل. فالتوتر والعقاب والضرب أمور تضر بالطفل وبنموه، وتمنع تفتحه وتطور قدراته المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى أهمية إشاعة لغة الحوار في إطار الأسرة، وفي علاقة الأهل مع الأبناء، وفي التفاعل بين الإخوة والأخوات. وتبيّن بعض الملاحظات غياب لغة الحوار في الأسرة في مجتمعاتنا، فالسلطة تقوم على التراتبية العمرية، حيث يتربع الأب على قمة هذه السلطة، وتكاد تقتصر هذه العلاقات على الأوامر والنواهي: " **هذا عيبٌ وذاك حرام**... ".

لا يمكن ترسيخ القيم الديموقراطية في المجتمع، إذا لم يحدث ذلك في إطار الأسرة أولاً، وهذا يستوجب العمل على تثقيف الأسرة عبر التربية ووسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني، بحيث تصبح لغة الحوار اللغة السائدة في إطار الأسرة. إنها الخطوة الأولى في تثبيت دعائم الديمقراطية ودولة المواطنة القائمة على الحرية والمساواة واحترام حقوق الإنسان، خصوصاً حقوق المرأة وحقوق الطفل، وترسيخ قيم المواطنة واحترام الدستور.

لقد أصبحت الديموقراطية ركيزة مهمة من ركائز التربية الحديثة، داخل الأسرة وخارجها، فالعلاقة التي تقوم على الحوار، وتنظر إلى الطفل على أنه شخص قائم بذاته، تنمّي شخصيته، وتنشط تطوير قدراته المعرفية واللغوية، وتفتح أمامه آفاقاً رحبة للنمو من مختلف الجوانب، فالعلاقة التربوية القائمة على الحوار تجعل الطفل معنياً بما يدور حوله، فاعلًا في هذا العالم ومؤثراً فيه، إذ يتعود تدريجياً تحمل المسؤولية، وتنمو لديه الثقة بالنفس. ويعود الحوار الطفل ضبط السلوك وتبادل الأدوار، وينمي عنده قدرات التواصل ومهارات التبادل مع الآخرين. وهذا يمكنه من دخول الحياة الاجتماعية من بابها الواسع، واثقاً من نفسه متفائلاً، نشطاً في دوره، وباحثاً عن تحديد مكانته. وليست الديموقراطية مسألة سياسية فحسب، بل مسألة تربوية أيضاً، يجب أن تبدأ في البيت، في المراحل الأولى من نمو الطفل وفي علاقاته الأولى مع الأسرة، " **فالحوار يولد العقول** ". ما أحوجنا إلى تطوير مهارات الحوار عند الصغار والكبار، بين الأهل وبين الطفل وبين المربين والتلاميذ. فالحوار ضرورة

تربوية، وهو بالنسبة إلى الطفل حاجة من حاجات نموّه وتفتحه، تضعه على طريق الإبداع[16].

وفيما يتعلق بالدراسات **التربوية والسوسيولوجية** التي اهتمت بتعديل أساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية في المجتمعات العربية عن طريق إقامة برامج وندوات الإرشاد الأسري بهدف تلافي أضرار أساليب التنشئة السائدة، نجد أن تلك الدراسات توصلت في مجملها عن أن الأسرة العربية التي تشكل أساس المجتمع ونواته الأولى لا تزال عموماً في بنيتها وأسلوب تنشئتها أبنائها **محافظة وتقليدية**. ويبدو لنا ذلك جلياً في فشل تلك الدراسات في إيجاد الأسلوب الأمثل في توجيه الأسر نحو إدخال قيم ومفاهيم ثقافية جديدة وأساليب تربوية تفتح آفاق تفكير الأطفال وتشجيعهم على التفكير المستقل والمنفتح. بالإضافة إلى التقصير الواضح في التطرق إلى مؤسسات التنشئة المختلفة وتجاهل دورها الواضح في تنشئة الأبناء في ظل التغيرات الثقافية والسياسية والاقتصادية التي طرأت على المجتمعات العربية في الآونة الأخيرة.

---

[16] فايز قنطار: **الانتقال الديمقراطي والمسألة التربوية: التربية في المراحل المبكرة**، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، نشر في 11 تموز/يوليو، 2021، ص(2-3). https://2u.pw/pNeiCgk

- المراجع المعتمدة:

1. إبراهيم ناصر: **علم الاجتماع التربوي**، دار الجيل للنشر، بيروت ط2، 1996.
2. آمال كزيز: **الممارسة الثقافية في التربية والتعليم**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2018.
3. فاطمة المنتصر الكتاني: **الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات**، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000.
4. رحيمة شرقي: **أساليب التنشئة الأسرية و انعكاساتها على المراهق**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر (باتنة)، الجزائر، السنة الجامعية 2004- 2005.
5. طعيس المقاطي: **أساليب التنشئة الاجتماعية**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2018.
6. نجاح رمضان محرز: **أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بتو افق الاجتماعي والشخصي في رياض الأطفال**، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد: 12، العدد : 02، 2005.
7. حفصة أحمد حسن منشي: **أنماط التنشئة الاجتماعية السلبية – التي تمارسها الأمهات مع أطفالهن في مجتمع مكة المكرمة**، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ – 1989م.
8. نجاح أحمد محمد الدويك: **أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالذكاء والتحصيل الدراسي لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة**، بحث لاستكمال رسالة الماجستير، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الإسلامية، غزة، 2008.
9. ليلى عبد الله السليمان المزروع: **دراسة أساليب التنشئة الاجتماعية عند الأمهات السعوديات**، رسالة دكتوراه، قسم علم النفس، كلية العلوم

الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1408هـ – 1988م.

10. حبيبة عامر: **الضبط الاجتماعي و انعكاساته على التنشئة الاجتماعية – دراسة ميدانية ببلدية بريكة حي النصر نموذجاً**، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج الخضر (باتنة)، السنة الجامعية 2009-2010.
11. عبده سعيد محمد صنعاني: **العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعياً في المرحلة الثانوية**، رسالة ماجستير، قسم التربية الخاصة، كلية التربية، جامعة تعز، اليمن، 2009.
12. نرمين حسن السطالي: **سيكولوجية العنف و أثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء**، دار السعيد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018.
13. فتيحة حمادي: **علاقة بعض أساليب المعاملة الوالدية بالسلوك العدواني لدى الأطفال المتمدرسين من 9-11**، قسم علم النفس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة (الجزائر)، السنة الجامعية 2008-2009.

الفصل الثالث

حول مفهوم العنف الأسري في المجتمعات العربية المعاصرة والاتجاهات النظرية المفسرة له

(رؤية تحليلية – سوسيولوجية)

" وعن عائشة رضي الله عنها: أَن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ " (رواه مسلم - 2596).

" شـهدت المجتمعات العربية مؤخراً عدة جرائم أسـرية بشـعة، دقت جرس الإنذار للمجتمع، لمواجهة ظاهرة العنف الأسـري ومعالجة آثارها السلبية ورعاية ضحاياها " (الكاتب).

في حقيقة الأمر، لا يوجد مجتمع دون مشـكلات، فلكل مجتمع مشـكلاته الخاصـة النابعة من مجموع خصـائصـه البنيوية والأحداث عاصـرها. ومن الملاحظ للعيان أن بعض هذه المشـكلات يظل هادئاً كامناً في أعماق المجتمع مستتراً بعيداً عن دائرة الضـوء، بينما البعض الآخر منها يظهر بقوةٍ وإصـرار محدثاً دوياً يسـمعه الجميع ويشـدهم إليه فارضـاً وجوده على المجتمع بحد ذاته لما له من آثار سـلبية. ومن بين هذه المشـكلات المعاصـرة **مشـكلة العنف** وبالأخص **(مشـكلة العنف الأسـري)** الذي تعاني منها كل المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء وبمعدلات مختلفة.

لا يعتبر **العنف ظاهرة جديدة وليدة اليوم أو الأمس القريب**، إنما هي ظاهرة تضرب بجذورها في **أعماق التاريخ الإنساني** حتى تصل إلى بدء الوجود الإنساني على وجه هذه البسيطة، **وقصة قابيل وهابيل** هي أبرز مثال على ذلك، حيث شهدت الأرض آنذاك أول جريمة قتل عرفها التاريخ الإنساني تم استخدام العنف فيها.

أما في **يومنا المعاصر** نجد أن رغم ما توصلت إليه المجتمعات الحديثة من تطور ورقي في جميع مجالات الحياة المادية، والثقافية، والاقتصادية، تبقى ظاهرة العنف سمة من سمات البشر يتسم به الفرد والجماعة، ويكون عندما يكف العقل عن قدرة الإقناع أو الاقتناع، فيلجأ الإنسان لتأكيد الذات بالعنف من خلال ضغط جسمي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي، فيمارسه الإنسان بقصد السيطرة أو التدمير. ويعد العنف ظاهرة اجتماعية عالمية شاملة، ليست خاصة بمجتمع معين، أو مكان، أو زمان معينين.

وقد أثار انتشار **ظاهرة العنف في المجتمعات العربية** في الآونة الأخيرة مجموعة من التساؤلات عن أسبابها، وحواضنها، والدوافع التي تغذي استمرارها، والآثار والنتائج المترتبة عليها، حيث بات شيوع كلمة العنف ومفرداتها أمر طبيعي في السياق الكلامي لأفراد المجتمع، وفي وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، كما ارتبطت هذه الكلمة بكثير من الظواهر والأحداث مثل التطرف، التفكك الأسري، والعنف ضد الأطفال، والعنف الأسري، والعنف ضد المرأة من خلال الاغتصاب، والاعتداء، والتحرش الجنسي.

كما أكدت **العديد من الدراسـات** أن من بين أهم **أسـباب تفشـي ظاهرة العنف** في المجتمعات العربية عموماً، ظاهرة التفكك الأسـري، وارتفاع معدلات الفقر، والبطالة، والأزمات الاقتصادية الخانقة واضطراب العلاقة بين الوالدين، وانتشار الطلاق النفسي بين الأزواج، كذلك التسرب المدرسي وفشل مخرجات العملية التعليمية في تحقيق الأهداف المرجوة منها. بالإضافة إلى تداعيات الحروب الكارثية وما تخلفه من آثار كارثية تؤدي إلى انتشار ثقافة العنف وشيوع القتل والجريمة وتجاوز لحقوق الإنسان مما يهدد الأمن، والتماسك، والسلام المجتمعي[1].

وعلى **الصعيد السوسيولوجي** يرى علماء الاجتماع أنه عندما تغيب **لغة الحوار** تصبح **القوة هي اللغة السائدة بين أفراد المجتمع ويحل العنف مكان الود**، والتفاهم، والتعايش، وتعم الفوضى في المجتمع وتسود شريعة الغاب على كافة الأحكام والأعراف، **وتصبح الغلبة لمن يملك السلطة والقوة لا لمن يملك الفكروالمنطق**، فتضيع الحقوق وينتشر العُقوق وتتوه العدالة عن مجراها الصحيح، ويعلن المجتمع حالة الوهن والاضطراب والتخبط والتفكك، لأن العنف أصبح سيد الموقف والعنف أنواع (كما ذكرنا أعلاه) وما يعنينا في هذا السياق هو **العنف الأسري** الذي يشكل محور اهتمامنا باعتباره أحد أهم وأخطر أنواع العنف المجتمعي.

---

(1) حسام الدين فياض: **تمظهرات السلوك الإنساني في المجتمع المعاصر**، سلسلة نحو علم اجتماع تنويري، الكتاب: السادس، دار الأكاديمية الحديثة، انقرة، ط1، 2024، ص(248-249).

لقد استرعى **العنف الأسري انتباه الباحثين في شؤون الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى في المجتمع وركيزته الأساسية**. وخلصوا إلى أن **العنف الأسري** بات يشكل خطراً على استقرار وتوازن المجتمع، ووجدوا أن العنف الأسري يتمظهر من خلال فرض القوي لسلطته على الضعيف لتسخيره في تحقيق إرادته، وأهدافه، وأغراضه الخاصة مستخدماً بذلك كل وسائل التعنيف سواء كانت **جسدية أو لفظية أو معنوية**، كما وجدوا أنه ليس بالضرورة أن يكون الممارس للعنف الأسري هو أحد الأبوين، وإنما يمكن أن يكون الفرد الأقوى في الأسرة. بناءً على ما تقدم سنحاول في هذه الدراسة مناقشة العناصر التالية:

أولاً- مفهوم العنف الأسري:

يُعرف **العنف لغوياً** بأنه كل قول أو فعل ضد الرأفة والرفق واللين، وهو فعل يجسد الطاقة أو القوة المادية في الإضرار المادي بشخص آخر. أما **اصطلاحياً** هو كل سلوك عدواني يتجه إلى الاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد بهدف إلحاق الضرر بالغير، ويقترن العنف بالإكراه والتكليف والتقييد، وهو نقيض الرفق لأنه صورة من صور القوة المبذولة على نحو غير قانوني بهدف إخضاع طرف لإرادة طرف آخر. ورغم تعدد العوامل المؤدية إلى العنف، إلا أن منطلقه الأساسي هو غريزة العدوانية المتفاوتة في قوتها بين إنسان وآخر، وهي غريزة يتأثر أسلوب التعبير عنها بظروف متعددة منها الثقافة السائدة، فمثلما أن العدوان غريزة، فإن الشعور الاجتماعي والضمير والإحساس بالذنب كذلك مشاعر فطرية لدى الفرد، وبالتالي فإن العنف لا

يصـدر عن فرد ما على الأغلب إلا وقد رافقته أفكار ومشـاعر سـلبية يسـتند إليها لتبرير اعتدائه. ومهما اختلفت الدوافع والوسـائل والأهداف والنتائج، فإنها جميعها تشير إلى مضمون واحد وهو العنف الذي يهدف إلى إلحاق الأذى بالذات أو بالآخر(2).

ويقصد **بالعنف الأسري** ***Family violence***: " **الأفعال التي يقوم بها أحد أعضـاء الأسـرة أو العائلة ويعني هذا بالتحديد الضـرب بأنواعه وحبس الحرية، والحرمان من حاجات أسـاسـية، والإرغام على القيام بفعل ضـد رغبة الفرد والطرد والتسـبب في كسـور أو جروح، والتسـبب في إعاقة، أو القتل في بعض الأحيان** ". أو يقصد به " **سوء معاملة شخص لشخص آخر تربطه به علاقة وثيقة، مثل العلاقة بين الزوج والزوجة، وبين الأبناء وبين الإخوة، وبين الفتاة وخطيبها ويتداخل مفهوم العنف الأسـري مع مفاهيم كثيرة قريبة منه مثل: العنف المنزلي أو سـوء معاملة أحد الزوجين للآخر أو سـوء معاملة الأطفال وغير ذلك من المفاهيم تشـترك في المعنى الذي أشـرنا إليه** ".

خلاصة القول: العنف الأسري **هو نطاق واسع من الأفعال التي يتسبب ظهورها أو غيابها في ضـرر لأفراد يشـتركون في علاقة والديه، أو علاقات شـخصـية غالباً ما تكون طويلة المدى وتتضـمن اعتماداً متبادلاً في الأمور**

---

(2) لمزيد من القراءة والاطلاع **حول مفهوم العنف وماهيته** انظر حسـام الدين فياض: **العنف المجتمعي - العنف الرمزي أنموذج (دراسة سوسيولوجية – تحليلية)**، مجلة ريحان للنشر العلمي، العدد: 23، سوريا، 2022، ص(196-235).

الجسمية والمالية. باختصار شديد هو" جميع أشكال و أنماط العنف التي تمارس داخل الأسرة، والتي من شأنها أن تلحق أذى مادياً أو معنوياً بأحد أفرادها "[3].

- **مَنْ هم ضحايا العنف الأسري؟** في حقيقة الأمر، ينحصر ضحايا العنف الأسري بالأفراد الأضعف في الأسرة الذين لا يستطيعون أن يصدوا عن أنفسهم الأذى الواقع عليهم من قبل من هم الأقوى بين أفراد الأسرة، باختصار شديد هم الأفراد الذين **يقع عليهم ضرر أياً كان نوعه، نتيجة تعرضهم للعنف على يد أحد أفراد أسرهم**. منهم ما يلي[4]:

- **الأطفال**: يشكل الأطفال أبرز ضحايا العنف الأسري والحوادث الغريبة كالقتل أو الانتحار أو الذبح أو الضرب، فهي تسبب لهم آثارا نفسية، مثل " الخرس الاختياري "، وهو أحد أشكال الاكتئاب وقضم الأظافر والتبول اللا إرادي والكوابيس المزعجة وفقدان الشهية. كما أن الأطفال الذين يتعرضون للعنف الأسري تنتابهم حالة رفض للمجتمع، ويقل لديهم شعور الانتماء ويصبحون ذوي شخصيات مضادة للمجتمع ما لم يتداركهم المحيطون بهم بالرعاية والاهتمام.

- **النساء**: من المعروف أن المرأة تقوم بالتضحية من أجل الحفاظ على بيتها واستقرار عائلتها، وبالتالي قد يقوم البعض منهن بالتنازل عن حقوقهن ليكن

---

[3] منى يونس بحري، نازك عبد الحليم قطيشات: **العنف الأسري**، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص(40).

[4] أحلام حمود الطيري: **العنف الأسري (مظاهره – أسبابه – علاجه)**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 2015، ص(15 وما بعدها).

بذلك ضحايا للعنف الأسري حفاظاً على الأبناء، وتمثل النساء أكبر نسبة في العنف الأسري أكثر من غيرهن.

- **كبار السن:** قد تتعرض هذه الفئة للعنف الأسري من قبل أفراد عائلتهم، وذلك من خلال تهميشهم وعدم الاهتمام بهم ورعايتهم، أو قد يكون من خلال موظفي المؤسسات القائمين على رعايتهم والاهتمام بهم.

- **ذوو الاحتياجات الخاصة:** قد يكون العنف الممارس بحق هذه الفئة من خلال خجل أسرهم منهم، وعزلهم عن المجتمع الخارجي وتحقيرهم، أو قد يكون ممارساً من خلال أفراد المؤسسات المسؤولة عن رعايتهم والعناية بهم.

ثانياً- أشكال العنف الأسري:

عرض (**جوهان جالتج**) تصنيفات عديدة للعنف يمكن أن يتمظهر إحداها في ممارسة العنف الأسري، وهي كالآتي:

- **العنف الهيكلي:** ويقصد به العنف غير المباشر الذي يرجع إلى الظلم الاجتماعي الذي يدخل في بنيان المجتمع والطبقات المختلفة غير المتساوية، وهذا العنف إما أن يكون جسدياً أو نفسياً أو بهدف.

- **العنف الشخصي أو المباشر:** يقصد به أن مرتكب العنف يكون دائماً له هدف.

- **العنف الفردي:** ويقصد به العنف الذي يحدث بين الأشخاص في الحياة اليومية.

- **العنف الجمعي:** ويتمثل في حالة الإرهاب أو الحرب.

- **العنف غير الشرعي:** وهو العنف الذي يعاقب عليه القانون.

- **العنف شرعي:** وهو العنف الذي يتأسس من خلال المعايير والقيم المتعارف عليها، كالعنف المرتبط بالتنشئة الاجتماعية أو بتفريغ الطاقة الغريزية أو ببعض العبادات في المجتمعات البدائية.

- **العنف الفيزيقي:** وهو العنف المقصود الموجه لإحداث ألم في حد ذاته وهو عنيف سلبي دائماً.

- **العنف الأدائي أو الوسيلي:** ويقصد به استخدام الضوابط الفيزيقية بشكل تهديدي أو عقابي لدفع شخص ما أو أشخاص لتنفيذ سلوك بعينه، والعنف الأدائي عنف إيجابي إلا أنه قد يكون سلبياً عندما يوجه العنف لمقاصد معينة.

ثالثاً- أنواع العنف الأسري:

في حقيقة الأمر للعنف أنواع كثيرة وعديدة، **منه المادي المحسوس والملموس النتائج**، الواضح على الضحية، ومنه **المعنوي** الذي لا نجد آثاره في بادئ الأمر على هيئة الضحية، لأنه لا يترك أثراً واضحاً على الجسد وإنما آثاره تكون في النفس. وفيما يلي استعراض لأنواع العنف الأسري مع ذكر أمثلة عليها:

1- العنف المادي: ويتمظهر فيما يلي:

أ- **الإيذاء الجسدي:** وهو كل ما قد يؤذي الجسد ويضره نتيجة تعرضه للعنف، مهما كانت درجة الضرر.

ب- **القتل**: وهو من أبشع أنواع العنف، وأشدها قسوة، ولعل معظمها يكون دفاعاً عن الشرف، ويكاد هذا النوع من العنف أن يكون شبه منعدماً في بعض المجتمعات الإسلامية، وذلك لطبيعتها المحافظة.

ج- **الاعتداءات الجنسية**: تعتبر جريمة القتل من أبشع أنواع العنف، ونعتقد أنه لا يوجد أبشع ولا أفظع من الاغتصاب، فمن خلال القتل تنتهي حياة الضحية بعد أن يتجرع الآلام والمعاناة لفترة محدودة، أما في الاغتصاب فتتجرع الضحية الآلام النفسية، وتلازمها الاضطرابات الانفعالية ما قدر لها أن تعيش. يمكن أن يحدث الاعتداء الجنسي في العلاقات والزيجات، الذي يشتمل على السلوكيات التالية:

- الإصرار على أو تهديدك بالاتصال الجنسي غير المرغوب فيه.

- جعلك تشعر بالذنب حيال عدم الرغبة في المشاركة في نشاط جنسي ما.

- إجبارك أو تهديدك للقيام بسلوكيات جنسية معينة.

- إجبارك على مشاهدة المواد الإباحية.

- إجبارك على الجماع عندما لا تستطيعين الرفض، كما هو الحال عندما تكونين نائمة أو لا ترغبين بذلك.

2- **العنف المعنوي والحسي**: ويتخذ الأشكال التالية:

أ- **الإيذاء اللفظي**: وهو عبارة عن كل ما يؤذي مشاعر الضحية من شتم وسب أو أي كلام يحمل التجريح، أو وصف الضحية بصفات مزرية مما يشعرها بالامتهان أو الانتقاص من قدرها.

ب- **سوء المعاملة العاطفية**: غالباً ما يتضرر الناجون من ضحايا الإساءة العاطفية من احترامهم لذاتهم وتقديرهم لذاتهم. يمكن أن يؤثر ذلك على حياتهم بطرق عديدة، بدءاً من مواجهة صعوبات في التواصل مع الأقارب والأصدقاء، وحتى الانخراط في الدراسة أو العمل. يمكن أن تشمل السلوكيات المسيئة عاطفياً ما يلي:

- إلقاء الضوء على مضايقاتك ومخاوفك وإنكار تأثيرها والتقليل منها والسخرية منك لتسميتها مشكلة.

- وصفك بأنك " **حساس جداً** "، أو جعل أحد الأفراد الشعور بالجنون (المعروف أيضاً باسم تلاعب بالعقول).

- الإذلال والتشهير علناً أو سراً.
- استخدام الغيرة لتبرير أفعالهم.
- محاولة إشعارك بالذنب كآلية تحكم.
- توظيف حبك أو حسن نيتك ضدك - على سبيل المثال، " إذا أحببتني، فستفعل ... ".

ج- **الحبس المنزلي أو انتقاص الحرية**: وهو أمر مرفوض كلية لأن فيه نوع من أنواع الاستعباد، وسيدنا **عمر بن الخطاب - رضي الله عنه** - يقول (**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً**). والحبس المنزلي قد يوجد لدى بعض الأسر وذلك تجنباً لشر الضحية لأنه قد بدر منه سلوك مشين في نظر

من يمارس العنف. وربما هذا النوع من العنف المعنوي يمارس ضد النساء والفتيات، حتى وإن لم تكن هناك أسباب داعية لممارسته.

د- **الطرد من المنزل**: إن كان النوع السابق يمارس ضد الإناث فهذا النوع من العنف يمارس ضد الذكور وذلك لاعتبارات اجتماعية تميز المجتمعات العربية عن غيرها، وهذا النوع من العنف يعد الطلقة الأخيرة التي يستخدمها الأبوان عند عدم التمكن من تهذيب سلوك الابن الضحية.

كما يُسمى هذا النوع من العنف **بالعنف التسلطي** الذي يتجسد من خلال استخدام **المعنِف للطرق الرمزية ضد الفرد المعنَف**، ويشمل هذا النوع من العنف التعبير وطرق غير لفظية **كاحتقار الزوجة، أو الأبناء، أو توجيه الإهانة وازدرائهم كالامتناع عن النظر إلى الزوجة واحتقارها بتعابير وجه أكثر احتقاراً وكراهية.**

رابعاً- الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف الأسري:

يمكننا في هذا السياق استعراض **أهم النظريات المفسرة لمشكلة العنف الأسري**، وهي كالآتي[5]:

1- **النظرية البيولوجية:** تقوم هذه النظرية على افتراض مؤداه أن البشر مثل الحيوانات لديهم غريزة العدوان، فالإنسان كالحيوان تسيطر عليه بعض الغرائز الفطرية تدفعه إلى أن يسلك بشكل معين إلى أن يشبعها، ومن هذه

[5] انظر: حسام الدين فياض: **الإطار النظري في البحوث الاجتماعية؛ توظيف المقولات النظرية في تفسير الظواهر الاجتماعية (دراسة تحليلية – تطبيقية)**، مجلة ريحان للنشر العلمي، سوريا، العدد: 46، 28-04-2024، ص(208 وما بعدها).

الغرائز العدوان التي تدفع الإنسان إلى الاعتداء، فالعنف سلوك غريزي هدفه تصريف الطاقة العدائية.

2- **نظرية عدوان الإحباط:** توضح هذه النظرية أن العنف يعد بمثابة أسلوب للتخلص من القلق الناتج عن موقف محبط، وذلك من منطلق أن الشخص المحبط غالباً ما يتورط في فعل عدواني، فالشخص المحبط ربما يرتبط بمصدر الإحباط، ففي ضوء التفسير السيكولوجي فإن الإحباط يؤدي إلى خلق شكل من العدوان تجاه الآخرين وتجاه المجتمع، وطبقاً لنظرية عدوان الإحباط فإن عدوان الإحباط يرتكز على قوة الحاجات والبواعث، التي تعترض المواقف المتعددة، وإن درجة العنف والعدوان ترتبط بمقدار الإحباط، وقد يكون الإحباط فقراً أو نقصاً في العاطفة أو ضرراً.

3- **نظرية الضغط:** تقوم هذه النظرية على افتراض مؤداه أن الضغوط الحياتية تعمل بمثابة مثيرات خارجية تؤثر في بعض العمليات النفسية التي قد تدفع الشخص إلى السلوك العدواني، وتؤكد النظرية في ضوء ذلك على وجود نوعين من هذه الضغوط وهما:

* **النوع الأول**: ويتمثل في دور أحداث الحياة غير السارة وضغوط العمل والأدوار المختلفة كمثيرات قد تدفع إلى السلوك العدواني.

* **النوع الثاني**: يهتم بالضغوط البيئية المتمثلة في الضوضاء والازدحام والتلوث والطقس، والضغوط الأخرى كاختراق الحدود الفردية والاعتداء على

الحيز المكاني والشخصي والازدحام السكاني، حيث تؤدى المؤثرات البيئية إلى زيادة العدوان والعنف من خلال ما تحدثه من آثار نفسية أو سلوكية.

4- نظرية الصراع الاجتماعي: من خلال مقولات هذه النظرية، يمكننا تفسير مشكلة **العنف الأسري** في إطار مفاهيم ومصطلحات الأقوى والسلطة، فالرجال أكثر قوة من النساء، ومن هنا يفرضون سيطرتهم على النساء. يعد الصراع جانباً وجزءاً مكوناً في كل الأنساق والتفاعلات بما في ذلك الأسرة والتفاعلات الزوجية، ويمكن النظر إلى أعضاء الأسرة باعتبارهم يواجهون نوعاً من المتطلبات المتعارضة، فهناك التنافس مع بعضهم البعض من أجل الاستغلال والسلطة والامتيازات، وفي الوقت نفسه المشاركة مع بعضهم البعض من أجل البقاء، فالأسرة في ضوء هذه النظرية تعد نظاماً اجتماعياً يعمل على تقنين العلاقات الشخصية المتبادلة والوثيقة من خلال عمليات مستمرة من التعارض وحل المشكلات وإدارة الصراع.

تناول الكثير من المفكرين نظرية الصراع الاجتماعي، إلا أن كارل ماركس يعتبر الأشهر بينهم، وصاحب النظرية والأفكار الأكثر إثارة للجدال طوال هذه السنوات، منذ كتاباته الأولى حتى تاريخنا الحالي " **إن تاريخ كل المجتمعات هو تاريخ الصراع الطبقي** ". تستند نظرية الصراع على أفكار كارل ماركس الكلاسيكية لعلم الاجتماع، التي تؤكد دور القوة الاقتصادية والسياسية في فرض رأي شخص على الآخرين. يعد مفهوم الصراع الطبقي في معيار علماء الاجتماع الماركسيين بأنه نتيجة حتمية لحركة التاريخ التي تتضمن مؤشرات القوة والسلطة. ويرى ماركس أن ملكية وسائل الإنتاج من قبل طبقة معينة،

تمنح أفراد الطبقة المعنوية العالية والنفوذ الاجتماعي والاحترام والتقدير، بينما عدم امتلاك الملكية من الطبقة الأخرى يجعلها مكسورة معنوياً ونفسياً ولا تملك قوة ولا نفوذاً اجتماعياً. ويتم تفسير العنف الأسري بحسب أصحاب هذه النظرية في إطار مفاهيم ومصطلحات السيطرة والضبط، فالرجل أكثر قوة من المرأة، ومن هنا فهم يفرضـون سـيطرتهم على المرأة. بناءً عليه يعتقد أصحاب هذه النظرية، أن مشكلة العنف الأسري تنبثق من خلال الأسباب الآتية:

- التناقض في الأهداف داخل الأسـرة يجعل الأفراد يعيشـون بين أطراف متقاطعة، لا تقودهم إلى غايات أفضل أو أسلم.

- وجود طبقة مالكة للثروة والنفوذ (الرجل) وأخرى فاقدة لها(المرأة).

- اسـتغلال مالكي السـلطة (الرجل) أهدافَ الأسـرة، لخدمة أغراضـه السلطوية والذاتية من أجل تعزيز موقعه على حساب المرأة.

- الحرمان الاقتصـادي وعدم توزيع الثروة بشـكلٍ عادل على جميع أبناء الأسـرة، سـيؤدي إلى خلق مشـاكل، وهو مصـدر لسـلوك الانحراف والإجرام داخل النسق الأسري.

بناءً على ما تقدم يؤكد أصحاب هذه النظرية أن الصـراع الطبقي من أجل الاسـتحواذ على الثروة والقوة والسـلطة هو المصـدر الرئيسـي للمشـكلات الاجتماعية ومن بينها العنف الأسـري، نتيجة التعارض في المصـالح والاهتمامات الفردية والجمعية. فالرجل يسـتغل القيم الاجتماعية السـائدة

في المجتمع لصالحه، وهي فرض سلطته الأبوية على المرأة، والتي تخدم أهدافه بأن المرأة تابع للرجل ومكانتها تتجسد بخدمته في الحياة. وهنا نرى أن الحياة الزوجية ما هي إلا حياة يتفاعل فيها الأفراد داخل الأسرة، وأثناء هذا التفاعل يحدث صراع بين الأطراف المتفاعلة، وهو ناتج عن صراع طبقي لاستحواذ أحد الأطراف على السلطة وفرضه السيطرة والقوة، وطرف آخر تفرض عليه القوة والعنف، وذلك من شأنه أن يؤدي إلى خلق ردود أفعال غير سليمة كغياب الاحترام وتدني من قيمة المرأة في الحياة الزوجية والاجتماعية، وفرض سلطة الرجل واستيلائه على ممتلكاتها بالعنف الجسدي كالضرب، والعنف النفسي كالشتم والإهانة، والمادي كأخذ الدخل الشهري وعدم الإنفاق عليها وحرمانها من حقوقها واحتياجاتها الأساسية كالملبس والمأكل، وعدم إعطائها النقود، إضافة إلى الصرامة في التعامل لعدم صرفها الأموال. ومن شأنه أن يخلق صراع طبقي بين الرجل والمرأة في الحياة الأسرية، مما يؤدي إلى العنف بحقها في الحياة غير المتكافئة.

5- **نظرية مصادر القوة:** تفترض هذه النظرية أن كافة النظم الاجتماعية بما فيها الأسرة تعتمد إلى حد ما على القوة أو التهديد بالقوة، **وكلما ازداد تحكم الشخص في موارده سواء كانت اجتماعية أو شخصية أو اقتصادية كلما زادت قوته**، ومع ذلك فإنه طبقاً **لـ (وليم جود) 1971** فإنه **كلما ازدادت موارد الشخص كلما قل استخدامه للقوة بشكل صريح**، لذلك فإن الزوج الذي يريد أن يكون الشخص المهيمن في الأسرة لكنه غير متعلم جيداً، أو يشغل وظيفة متواضعة وذو دخل قليل ويفتقر إلى المهارات الشخصية، قد يلجأ إلى

اســتخدام العنف للحفاظ على هيمنته داخل الأســرة، فالعنف يعد المصــدر النهائي بمعنى أنه يســتخدم عندما يدرك الفرد أن مصــادره الأخرى غير كافية، أو أنها فشــلت في الحصــول على الاســتجابة المرغوبة، وبذلك يمكن النظر إلى العنف على أنه وســيلة لممارســة الضــبط الاجتماعي من جانب الأزواج على الزوجات.

6- النظرية البنائية الوظيفية: ترتكز نظرية البنائية الوظيفية على فكرة التكامل بين الأجزاء في كل واحد، والاعتماد المتبادل بين العناصــر المختلفة للمجتمع، بذلك فإن التغيير في أحد الأجزاء من شـــأنه أن يحدث تغيرات في الأجزاء الأخرى. يرى **أصحاب هذه النظرية أن البناء الاجتماعي** هو عبارة عن نســق كلي مترابط ومتماســك، وهو بدوره مكون من مجموعة أنســاق جزئية تربطها علاقات متبادلة، ولكل من هذه الأنســـاق دور ووظيفة يقوم بها، وأن حدوث أي خلل يصيب أداء أي عضو في النسق يؤدي ذلك إلى حدوث خلل في باقي الأنساق وفي البناء الكلي من حيث تركيبته الوظيفية. فهي تفسر الظواهر الاجتماعية من خلال المؤسسات الاجتماعية، حيث إن تماسك وانسجام هذه المؤســســات فيما بينهما يحســن من أدائها الوظيفي، وترى هذه النظرية أن كل نســق يقوم بدوره وعملياته الاجتماعية على ضــوء بنائه الداخلي الذي يوجد فيه، سواء كان بنية مادية أو بنية اجتماعية.

تعزو هذه النظرية **مشكلة العنف الأسري** إلى وجود صعوبات في العلاقات الأســرية، وأن العنف يحدث بســبب أنماط التفاعل الأســري غير المتوافق أو نتيجة لوجود خلل في البناء الأســري، والفشــل في إشــباع الحاجات، وســوء

التفاعل بين الطرفين أو الزوجين أو الأبناء. كما يشير أصحاب هذه النظرية إلى أن **الخلل الوظيفي في الأسرة**، والذي يتمثل في الضواغط والمشاكل بين الزوجين، تعتبر محددات مهمة في تفشي العنف ضد الزوجة، وبالتالي يأتي العنف طبقاً لهذه النظرية نتيجة للاختلال الوظيفي داخل النسق الأسري، وأن كل أعضاء الأسرة يسهمون في حدوث العنف إذ إن كلاً من الطرفين أو الشريكين يسهمون في تصاعد الصراع، وأن كل واحد منهما يسعى للسيطرة على الآخر، وعلى هذا فإن العنف الأسري يكون ناتجاً عن وجود خلل في التفاعلات الأسرية وعدم وجود التواصل السليم بين أفراد الأسرة. أما عن **الأسباب والعوامل المؤدية** إلى هذه الظاهرة فيرى أصحاب هذه النظرية أن العنف الأسري هو نتيجة حتمية لجملة من **الظروف الاقتصادية والاجتماعية وقد مثلوها في الوضع العائلي المتدني، ظروف وضغوط العمل، البطالة، الخلافات العائلية، الفقر، انخفاض دخل الأسرة من جهة وعدد أفراد الأسرة المتزايد من جهة أخرى، ظروف السكن غير الملائم، نقص توعية وتعلم أفراد الأسرة**، كل هذه العوامل تؤدي حتماً إلى زيادة التوتر داخل الأسرة خاصة بين الزوجين، هذا ما يشعل فتيل العنف الأسري وبشكل يومي. وهكذا تؤثر الاضطرابات والتوترات في نسق العلاقة الزوجية في طبيعة العلاقات بين الأبناء والوالدين، مما يرتبط بظهور وتكرار ونوع وشدة ممارسات العنف الأسري.

7- **النظرية التفاعلية الرمزية:** يرى علماء هذه النظرية أن الأسرة يجب ألا تدرس كنموذج مثالي بل يجب أن تدرس كما هي في الحياة اليومية فليس هناك

أسـرتين متشـابهتين لدرجة التطابق فكل أسـرة لها علاقتها الخاصـة بها والتي تميزها عن الأسر الأخرى.

وتلعب الأسـرة دوراً مهماً في تلقين الأفراد أدوارهم المسـتقبلية. وكل أسـرة لها مجموعـة من الرموز والمعـايير التي تعلمهـا لأبنـائهـا في مرحلـة الصـغر وهـذه الرموز والمعاني تختلف من أسـرة لأخرى، فالفرد يحاول أن يسـتوعب الدور المتوقع منه أولاً ثم يحاول من خلال تعامله اليومي مع الآخرين إدخال بعض التعديلات على دوره وفقاً للرموز التي اكتسبها في مرحلة الصغر ووفقاً للظروف المحيطة به لذلك نجد أن كل علاقة زوجية تختلف عن العلاقات الزوجية الأخرى، **وكلما كانت المعاني والرموز التي اكتسـبها الزوجان من أسـرهما متقاربة سـاعد ذلك على تحقيق التفاهم بينهما والتصـرف ضـمن توقعات الآخرين والعكس صـحيح، فكلما كانت الرموزوالمعاني متباعدة بل متنافرة بين الزوجين أدى ذلك إلى خلق فجوة بينهما مما يؤدي إلى بروز الخلافات و انتشـارها ثم التصـادم، فالتجنب، فالتفادي، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى ممارسة العنف تجاه الآخر، في سياق الحياة الأسرية.**

وهكذا ترى هذه النظرية أن الأفراد متفاعلون فيما بينهم بواسطة مجموعة من الرموز والمعاني، وتتوقف الحياة على مدى قدرة الناس على إنتاج الرموز واسـتخدامها، والكيفية التي يرمزون بها إلى بعضـهم البعض، وإلى غيرهم من الناس أو الأشـياء أو الأحداث أو الأفكار أو أي شـيء في الوجود. وهي ترى أن سـلوك الأفراد هو نتاج العلاقة الاجتماعية. ويرى منظرو هذه النظرية أن التشـتت الاجتماعي وأن أي خلل في شـخصـية الفرد وسـلوكه الاجتماعي يؤدي

إلى خلل في عملية التفاعل الاجتماعي، لأنها تعتقد أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها، ما هي إلا حصيلة التفاعلات التي تقوم بين البشر والمؤسسات والنظم الاجتماعية. فالفرد يحاول دائماً أن يستوعب الدور المتوقع منه بالدرجة الأولى، ثم يحاول فهم الآخر من خلال تعامله اليومي معه، وإدخال بعض التعديلات أو التغيرات على دوره وفقاً للرموز التي اكتسبها في مرحلة الصغر، ووفقاً للظروف والبيئة المحيطة به.

وبما أن هذه النظرية تعتبر (**الرموز، الكلمات، الإشارة والمعاني**) من مبادئها الأساسية، لذا يعد العنف الموجه ضد المرأة في سياق الحياة الأسرية سواء أكان العنف لفظياً أم جسدياً واحداً من تلك التعبيرات الأساسية للنظرية التفاعلية الرمزية. وبهذا فإن سلوك الفرد والجماعات ما هو إلا تجسيد للرموز التي يشاهدها الفرد ويتأثر بها سلباً أو إيجاباً بشكل مباشر، وإن العمليات الإدراكية والمعرفية عند الأفراد هي التي بإمكانها معرفة وتحديد نوع العلاقات بين الأفراد وباستطاعتها أن تكبح العدوان أو تسهله. كون الفرد في التفاعل الرمزي يعتمد على الدور الذي يحتله والسلوك الذي يتحلى به.

وتجدر الإشارة إلى أن التفاعلية الرمزية تعاملت مع العنف بوصفه مشكلة اجتماعية تهدد الاتفاق الجماعي المشترك بشأن الواقع، إذ إن الصراع بين الأفراد والجماعات يؤدي إلى انهيار الاتصال بين أفراد الأسرة المتصارعة، ويصبح من الصعوبة إمكانية الاتفاق بشأن القضايا المشتركة. وفيما يتعلق بأسباب العنف، نجد أن التفاعلية الرمزية قد عارضت المتغيرات البيولوجية

والنفسية، وأكدت على ضرورة تقصي الظروف التي تحت ظلها يلجأ أفراد المجتمع إلى توسل العنف في إدارة علاقاتهم الاجتماعية.

8- نظرية التبادل الاجتماعي: يرى أنصار هذه النظرية أن الأفراد يدخلون مع بعضهم البعض في علاقات تبادلية فهم يتبادلون العواطف والمشاعر والآراء والأفكار والمصالح والأموال وغيرها... وفي تبادلهم هذا هم يسعون إلى تحقيق أكبر قدراً من الربح بأقل خسائر ممكنة. وفيما يتعلق **بمشكلة العنف الأسري** تؤمن هذه النظرية بأن سلوك الفرد يتشكل من خلال الثواب والعقاب أو التكلفة والعائد في علاقته مع الآخرين، وبصفة خاصة فإن المرأة المعنفة داخل الأسرة على سبيل المثال قد تحاول تجنب تعنيفها (عقابها) من طرف الزوج من خلال الامتثال لأوامره وتنفيذ رغباته والخضوع له بصورة مطلقة، فإذا حاولت إحداث خلل في استجابتها لمتطلباته وهو في المقابل يدفع تكاليف أكثر مما يجنيه من علاقته الزوجية هذا سيرفع من احتمال تعرض المرأة للإساءة والعنف من قبل الزوج.

- بالإضافة إلى هذه النظريات هناك ثلاثة نماذج لتفسير الإيذاء الزواجي باعتباره أحد أشكال العنف الأسري، وهي كالآتي:

1- نموذج العنف الشخصي: يحدث العنف عندما يفتقر الكبار المهارة في الاستجابة للضغوط والصراعات الحياتية، مع الافتقار إلى المهارات الشخصية، بالإضافة إلى وجود المشكلات الاجتماعية والمظاهر الجانبية للشخصية، كل هذه العوامل تؤدي إلى حدوث العنف الأسري.

2- **نموذج العنف الأسري**: يركز على تأثير المعايير والقيم الموجودة في الأسرة، حيث إن العنف يحدث نتيجة الصراعات التي تتم بين أعضاء الأسرة، ويظهر العنف أيضاً عندما يكون لدى أعضاء الأسرة خبرة عنه في الطفولة أو يعيشون تحت ظروف الفقر، ومن ثم فإن الأطفال الذين يتم إيذائهم يصبحون في المستقبل آباء يؤذون أولادهم.

3- **نموذج سياسة النوع**: يرجع هذا النموذج العنف الأسري إلى سيطرة المرأة أحياناً في المجتمع، فعندما يحظى الرجل بالنجاح والمال والمكانة، فذلك يعتبر تهديداً للمرأة من وجهة نظرها، ويكون رد فعلها هو العنف، وأحياناً تستمر المرأة في الزواج رغم وجود علاقات سيئة مؤذية بينها وبين زوجها، وذلك بسبب خوفها من أن تكون بمفردها، بالإضافة إلى غياب الموارد الأساسية، وذلك يجعل فكرة الهروب من الزواج لديها غير مستحبة، وهذا النموذج يؤكد على أن عدم وجود مأوى للمرأة وعدم اعتمادها اقتصادياً على نفسها يجعلها تنافس الرجل على السلطة والمكانة مما يؤدي إلى حدوث العنف الأسري.

خامساً- المتغيرات المحددة لأشكال العنف الأسري:

في دراسة ظاهرة العنف الأسري، يبرز دور المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والنفسية في تحديد أنماطه وحدّة تجلياته داخل الأسرة. فالعنف لا ينشأ في فراغ، بل يتغذى من سياقات مركبة تتداخل فيها البنية القيمية للمجتمع مع الظروف المعيشية والضغوط الاقتصادية والتنشئة الاجتماعية. ومن ثم فإن تحليل المتغيرات المحددة لأشكال العنف الأسري يتيح فهماً أعمق للديناميات الداخلية للأسرة، ويكشف كيف تتحول

هذه المتغيرات إلى عوامل محفزة أو مقيّدة للسلوك العنيف، وهو ما يجعلها مدخلاً أساسياً في مقاربة هذه الإشكالية المعقدة. بناءً على ما سبق تنحصر تلك في المتغيرات التالية:

1- **المتغير الذاتي**: يرجع إلى شخصية القائم بالعنف كأن يكون لديه خلل في الشخصية بمعاناته من اضطرا بات نفسية أو تعاطي المسكرات والمخدرات، أو يكون لديه مرض عقلي.

2- **المتغير الاقتصادي الاجتماعي**: وهي الظروف الأسرية التي يقوم بها القائم بالعنف التي ربما تتمثل في الظروف الاجتماعية الاقتصادية، مثل **الفقر أو الدخل الضعيف** الذي لا يكفي المتطلبات الأسرية، أو حالة المسكن أو المنطقة التي يعيش فيها أو نمط الحياة الأسرية بشكل عام، كثرة المشاحنات نتيجة الضغوط المحيطة أو عدم التوافق الزواجي. بالمقابل تلعب **الأزمات الاقتصادية** دوراً مهماً في تدهور العلاقات الأسرية وإشعال الأزمات ومنها العنف الأسري نتيجة لتراكم المديونيات أو لفقد أحد الزوجين العمل أو نتيجة لقرارات مالية خاطئة وعجز الأسرة عن توفير احتياجات المعيشة بسبب تدني مستوى الدخل.

3- **المتغير الثقافي**: المتمثل في كيفية قضاء وقت الفراغ، والمستوى التعليمي لأفراد الأسرة ونوع المهنة التي يقوم بها القائم بالعنف، الواعظ الديني، العلاقة بين الطرفين.

4- **المتغير المجتمعي**: المتمثل في العنف المنتشــر والأحداث العربية والعالمية التي تنتقل عبر الفضـائيات والإنترنت وتأثيرها على العنف الأسـري، فالتغيرات التي تحـدث في المجتمع الكبير تنتقـل وبشــكل غير مبـاشــر إلى المجتمعـات الصغيرة.

سادساً- نتائج العنف الأسري:

إن الأضــرار المترتبـة على العنف لا تنـال فقط من مُورِسَ العنف عليهم فحســب، وإنمـا تمتـد آثـارهـا إلى أبعـد من ذلـك بكثير، ولـذلـك نـدرج الآثـار المختلفة للعنف الأسري كالتالي:

1- أثر العنف في مَنْ مُورِسَ بحقـه: هنـاك آثـار كثيرة على من مورس العنف الأسري في حقه منها:

أ- **نفسـياً**: يتسـبب العنف في نشـوء العقد النفسـية التي قد تتطور وتتفاقم إلى حالات مرضية. وتختلف الأعراض النفسية التي يسببها العنف الأسري من فرد لآخر، إلا أنها تشــمل الشــعور بـالـذل والعـار، والغضــب، والشــعور بـالاكتئـاب، وعـدم القـدرة على حل المشــكلات، وصــعوبـة في التركيز، وجلـد النفس والـذات، وعـدم التعـاطف أو الاهتمـام بـالآخرين، وفقـدان القـدرة أو الرغبة بإنجاز أي مهام أو حتى التوجه إلى المدرســة أو العمل، وأخيراً قد يؤدي إلى الانتحار.

ب- **جسـدياً**: يؤدي العنف الممارس على أفراد المجتمع إلى مشـكلات صـحية عـديـدة ومنهـا، المرض كـالصــداع وآلام المعـدة، والعجز، أو الموت في بعض

الحالات المتقدمة. ويُخلف أضــراراً وجروحاً جســدية قد يكون من الصــعب علاجها، كما يؤدي إلى حدوث اضــطرابات في الأكل والنوم، وتدني مســتويات التركيز لــدى الأفراد المُعنفين، وتتعرض الضــحيــة إلى متلازمــة الوســواس القهري، إضــافــة إلى انعدام الثقة بالنفس أو حتى تقديرها، وانعدام الرغبة بالإنجاب والتوجه نحو عمليات الإجهاض (بالنســبة للزوجة) وحصــول اضطرابات في الدورة الشهرية والخصوبة.

ج- **سـلوكياً**: زيادة احتمال قيام الشخص الذي عانى من العنف بممارسة سـلوكيات عنيفة مع الآخرين ولكن وفق أسـلوبه. بمعنى آخر، إن شـدة الضغوط والنزاعات الأسرية تنشئ أطفالاً يميلون نحو السلوك المنحرف ضد الآخرين مما يؤدي إلى إعادة إنتاج العنف في محيط الفرد المُعنف.

2- أثر العنف على الأسرة: إن أثر العنف لو توقف في حدود الفرد الذي عانى من العنف لكانت المشكلة أقل خطورة، ولكن الأمر يتعدى ذلك في التأثير على الأســرة بحد ذاتها، من خلال محاولة الفرد المعنف الانتقام من أفراد أســرته الذين مارسوا العنف عليه، أو من الأسرة التي سيكوّنها في المستقبل. في واقع الأمر، يأتي العنف الأسري من الظروف العائلية الطارئة غير المتوقعة كفشل أحد أفراد الأســرة دراســياً أو مادياً أو اجتماعياً أو ســلوكياً، وقد يقع العنف نتيجة مرض مفاجئ لأحد أفراد الأســرة مثل الأمراض النفســية والاكتئاب أو الاختلاف بين الزوجين على أساليب تربية الأطفال، وقد يكون العنف الأسري ناتجاً عن تأثير التدخل الخارجي من أهل أحد الزوجين لحل مشكلات الزوجين. ويقع العنف الأســري نتيجة لعدم التوافق الفكري أو التعليمي أو الاجتماعي،

بالتوازي والتناغم مع انعدام لغة الحوار والتفاهم بين أفراد الأسرة. فيما يؤدي الإهمال واللامبالاة بين اثنين أو أكثر من أفراد الأسرة إلى العنف الأسري أحياناً خاصة مع إدمان البعض على الاستخدام المفرط لوسائط الإعلام الاجتماعي. كما أن العنف الأسري يمكن أن يكون نتيجة لإدمان تعاطي الكحول أو المخدرات أو الأمراض النفسية. **ومن أهم آثاره على الصعيد الأسري**:

أ- **التفكك الأسري:** يعتبر العنف الأسري أحد أبرز التحديات والمخاطر التي تتسبب بالتفكك الأسري. وبالمقابل يؤدي التفكك الأسري إلى حدوث تصدع بالأسرة، وعدم تكاملها، وتماسكها، وعدم إشباع حاجات أفرادها الأولية والثانوية. وإن استخدام بعض الآباء الشدة والعنف في التعامل مع زوجاتهم أو أبنائهم يؤدي إلى عدم العيش باستقرار وسلام، وذلك حتماً يؤدي إلى التفكك الأسري.

ب- **الطلاق:** يؤدي انفصال الزوجين الناتج عن النزاعات وعدم التوافق بين الزوجين إلى تشتت أفراد الأسرة وبالتالي تشرد الأطفال. فالطفل الذي يعيش في أسرة معرضة للعنف الأسري يكون أكثر عرضة لاكتساب السلوك العدواني ويصبح عدوانياً في معظم تصرفاته ومع مختلف الأفراد في المجتمع كأصدقائه وإخوانه وأهله. وهكذا يؤدي العنف المتكرر بصورة مختلفة ضد المرأة (الزوجة) إلى فك الرابطة الزوجية بالطلاق النهائي، لأن الزوجة المعنفة لا تجد سبيلاً للتخلص من تعنيف زوجها سوى الخلع وهذا الأمر يؤدي حتماً إلى

تفكيك الأسـرة وتشـققها حيث يكون في بداية الأمر تفكك داخلي أو ما يسـمى **بأسرة القوقعة الفارغة ويتطور ليصل إلى التصدع ثم الطلاق.**

3- أثر العنف الأسـري على المجتمع: نظراً لكون الأسـرة نواة المجتمع فإن أي تهديد سـيوجه نحوها - من خلال العنف الأسـري- سـيقود بالنهاية، إلى تهديد كيان المجتمع بأسـره. حيث يميل الفرد المُعنف أسـرياً إلى الهروب من ذلك في طرق كثيرة، منها مثلاً **التوجه لإدمان الكحول أو المخدرات لتقليل الشـعور بالألم الجسـدي والنفسـي، والتهديد أو ممارسـة العنف في المجتمع إلى التفكك العائلي، وتدمير البيئات الأسـرية السـليمة والصحية**، إذ يتجنب الأفراد الشـخص المُعنف داخل المنزل، وفي الحالات المتقدمة يكون تدخل الشرطة ومنظمات حماية الأسرة ضرورياً، كما يؤدي العنف الأسري إلى زيادة نسبة التشرد والتسول، وذلك عند لجوء الأفراد المعنفين للخروج من منازلهم دون وجود مأوى أو مصدر دخل ثابت ليتمكنوا من إعالة أنفسهم. ومن ناحية أخرى فـإن المجتمع السـوي غير المعرض للعنف لا يعـاني أفراده من أي مسـتويات من التوتر والاضـطراب، ويكون مجتمعاً أكثر أمناً واسـتقراراً. أما انتشار العنف في المجتمع فيؤدي إلى اضطرابه واختلال استقراره.

وهنا يجب أن نشـير إلى أن البعض يعتبر العنف الذي يمارسـه ضـد أسـرته له سـند ومبرر ديني من خلال فهمه الخاطئ لجوهر الدين، وهذا ادعاء باطلاً جملةً وتفصـيلاً. **فالدين الإسـلامي دين يدعو إلى نبذ العنف بكافة أنواعه، وعلى جميع الأصـعدة، وخصـوصـاً على صـعيد الأسـرة هذه المؤسـسـة التي حرص الدين الإسلامي أشد الحرص على حمايتها من الانهيار والتفكك.** وإن

ما دعا إليه الدين الإسلامي من التنبيه لا يعد في واقع الأمر عنفاً، **و إنما هو أسلوب علاجي يرمى من ورائه الحفاظ على كيان الأسرة، واستمرارها القيام بوظائفها كما ينبغي أن يكون.** ثم أن هذا التنبيه لم يترك الدين الإسلامي تقديره إلى الأب بحيث يكون عقابه وفق ما يراه هو، ودون ضوابط وشروط، وإنما وضع الدين الإسلامي ضوابط وشروطاً لا يحق للأب أن يتخطاها وإلا كان مخالفاً للأحكام الشرعية.

خلاصة القول إن نتائج العنف الأسري وتبعاته تتجاوز الشخص المعنِّف والمُعنَّف، وتتجاوز حتى الأسرة إلى المجتمع ككل، فإن محاصرة العنف الأسري وتجفيف منابعه تعد مسؤولية تقع على عاتق أفراد المجتمع ومؤسساته يشترك ويلتف حولها أفراد المجتمع ومؤسساته بِدءاً بمحاصرة أسباب المشكلة ومروراً بالتعامل المباشر وغير المباشر مع العنف من خلال الإبلاغ عن العنف ومتابعة مآلاته. كما أننا هنا لا بد من الإشارة إلى أهمية إجراء المزيد من الدراسات للتعرف على حواضن العنف الأسري ومكامن تواجدها، بغرض اتخاذ الاحتياطات الضرورية والإجراءات الاستباقية الكفيلة بالقضاء نهائياً أو جزئياً على مسببات العنف الأسري.

سابعاً- مقترحات لعلاج مشكلة العنف الأسري:

في ضوء ما سبق بات مشكلة العنف الأسري تمثل خطراً على الأمن والاستقرار المجتمعي تستلزم حلاً عاجلاً وسريعاً. لذا، نقترح مجموعة من التوصيات لمعالجتها والحد من آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، وهي كالآتي:

1- **نشر الوعي بين أفراد المجتمع** وتزويدهم بمعلومات صحيحة حول مدى انتشار العنف الأسري ودوافعه وسبل التعامل مع مرتكبيه وإيضاح كيفية تحكم الفرد في تصرفاته العنيفة وكيفية تجنب المواقف الصعبة بطريقة سليمة وأن تستغل جميع وسائل الإعلام المتاحة ويتم تضمين أحد برامجها مقاطع حوارية هادفة لمعالجة مثل هذه الأمور.

2- التأكيد على الآباء والأمهات **بتنشئة أبنائهم التنشئة الدينية** الصحيحة وإتباع سنة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام والاقتداء بسيرته العطرة لا سيما في تعامله مع أهل بيته.

3- محاولة **تصحيح العادات والتقاليد** التي لا تزال هي المتحكم في معظم تصرفاتنا حيث بمقتضاها نجد التسلط والعنف والتزويج بالإكراه والانحياز للذكور على حساب الإناث وهذا التسلط يختلف وفقاً لمستوى ثقافة الأسرة.

4- **الامتناع عن استخدام العقاب البدني** مع الأطفال من خلال استبداله بأساليب أخرى بدلاً من الضرب كالحرمان من الأمور التي يرغبها الطفل على ألا تكون من الأمور الأساسية. بالإضافة إلى عرض المصابين بالأمراض النفسية من أفراد الأسرة على الأطباء المختصين لعلاجهم.

5- أن يكون هناك **مؤسسات متخصصة لرعاية** هذه الفئة المعنفة يتوفر بها الإخصائيون الاجتماعيون والنفسيون ويكون دورها الوسيط بين المعنف وأسرته لإيجاد الاستقرار المطلوب مع توفير قناة اتصال حتى لو كانت سرية تحت مظلة رسمية.

6- وضـع **قوانين رادعة** تتضـمن التأكيد على الحق الخاص والعام وتعريف النسـاء والأطفال بحقوقهم وكيفية اللجوء إلى الحماية إذا تعرضـوا لأي عنف أسـري. ولا شـك في أن المسـؤولية العظمى تقع على المجتمع، فربما كان العنف نتيجة قصـور المتابعة من المؤسـسـات الرقابية والأمنية. والحاجة داعية إلى التوعية بالأنظمة والعقوبات الرادعة، وإحداث برامج وقائية لحماية النسـاء والأطفال، خاصـة لوجود عامل الضـعف في هذا الجنس البشـري، فما من داء إلا له دواء.

7- العمل على **تحسـين الظروف المعيشـية للأسـر**، وتوفير فرص عمل مناسـبة لجميع القادرين عليه، وتوسـيع نطاق الخدمات المقدمة للأسـر، وضمان صحي للكبار وسكن مناسب وذلك لتفادي وقوع أي نوع من المشكلات الأسـرية وحتى تتمكن الأسـر من التكيف مع المتغيرات التي تطرأ بفعل تحولات الزمن وتحدياته الاقتصادية.

8- **التثقيف المبكر للزوجين** قبل الزواج ومعرفة الحياة الزوجية وأنها لا تخلو من مكدرات، وأن الواجب على كلا الزوجين مقابلة ذلك بالصـبر والاحتسـاب، كما يجب على كل منهما معرفة ما له وما عليه من حقوق وواجبات زوجية، لكيلا يدع الواجب عليه أو يطالب الآخر بما لا يجب عليه.

9- إنشاء **مراكز ووحدات استشارات أسرية** في الأحياء السكنية تساعد في التخفيف من المشـاكل والخلافات بين الزوجين، وبالتالي الحد من انتشـار ظاهرة العنف الأسري في المجتمع.

10- إدخال مقرر **التربية الأسرية** التي تتناول معنى العنف في الأسرة وأسبابه والأساليب التربوية للتعامل معه، وتدريب الطلاب والطالبات على مواجهة أساليب العنف بالمنطق والعقل وتوجيه الأخصائيين الاجتماعيين في المدارس والمؤسسات التعليمية بالحرص على التعامل مع حالات العنف الأسري، وتشجيع الطلاب على إبلاغهم بأي عنف يتعرضون له داخل النسق الأسري.

11- وأخيراً، العمل على تأهيل **ونشر ثقافة التفاهم الحوار في الأسرة** على اعتبار أن الحوار ومكوناته الحضارية يسهم في إرساء قواعد الاستقرار الأسري، وإشاعة روح الود والتفاهم والوئام.

12- من الضروري **إجراء أنشطة لزيادة الترابط والانسجام الأسري** ومن هذه المبادرات تلك التي أطلقها الاتحاد الأوروبي عام 2020، وتقدم دعماً مالياً وفنياً لبرامج مكافحة العنف ضد المرأة بشكل خاص، تشمل المجتمعات العربية، بالشراكة مع منظمات محلية وإقليمية. وتستهدف هذه المبادرة ثلاث مجالات رئيسة، هي: تغيير التشريعات والسياسات التي تؤثر على حقوق المرأة، وتعزيز قدرات المؤسسات والجهات المعنية بتقديم الخدمات والحماية للنساء المعنفات، وتوعية الرجال والشباب بأهمية احترام المرأة والتخلي عن العنف. كما أطلقت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) مبادرة عام 2019، تقدم دعماً مالياً وفنياً لبرامج مكافحة العنف ضد الأطفال في المجتمعات العربية، بالشراكة مع منظمات محلية وإقليمية.

في الختام يمكننا القول إن العنف الأسري في المجتمعات العربية أصبح ظاهرة متصاعدة، تستوجب التصدي لها بحزم وحكمة، ولا يجوز السكوت عليها أو تبريرها أو غض الطرف عنه، بل مواجهتها بأسلوب علمي منظم، وليس بعشوائية، لأن الأسرة هي أساس المجتمع، وإذا كانت مليئة بالعنف والصراع، فمصير المجتمع هو غياب السلام والتنمية الشاملة التي نحن بأمس الحاجة إليها.

- المراجع المعتمدة:

1. ابتسام سالم خليفة: **مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال و أثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة**، مجلة كليات التربية، العدد: الثاني عشر، جامعة الزاوية، مدينة الزاوية (ليبيا)، 2018.
2. أحلام حمود الطيري: **العنف الأسري (مظاهره – أسبابه – علاجه)**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 2015.
3. أحلام هلال سويلم: **العنف الأسري و أثره على الفرد والمجتمع (دراسة فقهية)، مجلة كلية الشريعة، والقانون بتفهنا**، جامعة الأزهر، المجلد: 19، العدد: 1، دقهلية (مصر)، 2017.
4. أماني السيد عبد الحميد حسن: **العنف الأسري وعلاقته بالاتجاه نحو التطرف لعينة من الشباب الجامعي (دراسة سيكومترية- إكلينيكية)**، رسالة ماجستير، قسم الصحة النفسية، كلية التربية، جامعة الزقازيق، الزقازيق (مصر)، 2009.
5. أنس عباس غزوان: **العنف ضد الأطفال و انعكاسه على الشخصية- دراسة اجتماعية- ميدانية في مدينة الحلة**، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد:23، العدد:03، بابل (العراق)، 2015.
6. جوناثان هـ. تيرنر: **علم الاجتماع النظري – مقدمة موجزة لاثنتي عشرة نظرية اجتماعية**، ترجمة: موضي مطني الشمري، دار جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 2019.
7. حسام الدين فياض: **المدخل إلى علم الاجتماع (من مرحلة التأصيل إلى مرحلة التأسيس)**، مكتبة الأسرة العربية، سلسلة نحو علم اجتماع تنويري، الكتاب الثاني، إسطنبول، ط1، 2021.
8. حسام الدين فياض :**تقنيات كتابة البحوث الاجتماعية "منهجية إعداد وتصميم خطة البحث من الألف إلى الياء"** ، سلسلة نحو علم اجتماع

تنويري، الكتاب: الخامس، الجزء: الأول، دار الأكاديمية الحديثة، أنقرة، ط1، 2023.

9. حسام الدين فياض :**الإطار النظري في البحوث الاجتماعية؛ توظيف المقولات النظرية في تفسير الظواهر الاجتماعية (دراسة تحليلية – تطبيقية)**، مجلة ريحان للنشر العلمي، سوريا، العدد: 46، 28-04-2024.

10. حسام الدين فياض: **تمظهرات السلوك الإنساني في المجتمع المعاصر**، سلسلة نحو علم اجتماع تنويري، الكتاب السادس، دار الأكاديمية الحديثة، أنقرة، ط1، 2024.

11. - حسام الدين فياض: **وجهات نظر في نظريات علم الاجتماع المعاصر (دراسة تحليلية - نقدية)**، الحوار المتمدن (المحور: الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع)، العدد: 7395، 2022/10/28.

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=770798

12. سمير نعيم: **النظرية في علم الاجتماع (دراسة نقدية)**، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1985.

13. صندوق الأمم المتحدة للسكان: **إدارة برامج العنف القائم على النوع الاجتماعي في حالات الطوارئ**، صندوق الأمم المتحدة للسكان، بدون تاريخ.

14. طلعت إبراهيم لطفي، وكمال عبد الحميد الزيات: **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار غريب، القاهرة، ط1، 1999.

15. عائشة لصلج: **العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية (قراءة في بعض صور العنف عبر الفيسبوك)**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، دراسات وأبحاث، الرباط (المغرب)، 2016.

16. عبد العزيز الغريب: **نظريات علم الاجتماع – تصنيفاتها، اتجاهاتها، وبعض نماذجها التطبيقية من النظرية الوضعية إلى ما بعد الحداثة**، دار الزهراء، الرياض، ط1، 2012.

17. علي إسماعيل عبد الرحمن: **العنف الأسري الأسباب والعلاج**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2006.
18. علي ليلة: **النظرية الاجتماعية الحديثة (الأنساق الكلاسيكية)**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، الكتاب الثالث، بدون تاريخ.
19. محمد البيومي الراوي بهنسي: **العنف الأسري، أسبابه، آثاره، وعلاجه في الفقه الإسلامي**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد: 9، العدد: 32، 2016.
20. محمد عبد الكريم الحوراني: **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع – التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع**، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2008.
21. محمد سيد فهمي: **العنف الأسري (التحديات وآليات المعالجة)**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2016.
22. مصطفى خلف عبد الجواد: **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، دار المسيرة، عمان، ط2، 2011.
23. مصطفى عمر التير: **العنف العائلي**، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، ط1، 1418هـ – 1997م.
24. منال محمد عباس: **العنف الأسري (رؤية سوسيولوجية)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2011.
25. منى يونس بحري، نازك عبد الحليم قطيشات: **العنف الأسري**، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011.
26. منير كرادشة: **العنف الأسري (سوسيولوجية الرجل العنيف والمرأة المعنفة)**، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009.
27. نادية إبراهيم يوسف الحياصات: **أسباب وأشكال العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني (دراسة ميدانية)**، مجلة الدراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 43، الملحق 4، عمان، 2016.

28. نيقولا تيماشـــيف: **نظرية علم الاجتماع (طبيعتها وتطورها)**، ترجمة: محمود عودة وآخرون، مراجعة: محمد عاطف غيث، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1978.

29. هبة إبراهيم حماد: **درجة الوعي بطرق مواجهة العنف بأشكاله المتعددة لدى عينة من طالبات كلية عالية الجامعية في الأردن وعلاقتها ببعض المتغيرات**، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، المجلد 21، العدد 1، غزة (فلسطين)، 31 يناير (كانون الثاني) 2013.

30. ونيس محمد الكراتي: **التفكك الأسري وعلاقته بمظاهر العنف في الأسرة الليبية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المرقب، العدد: 22، ليبيا، (مارس) 2021.

31. وزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية: **الدليل التعريفي (تعريفات العنف الأسري وأشكاله وقياس شدته)**، البرنامج الوطني لوزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية، الرياض (السعودية)، ط1، 2020.

الفصل الرابع

المـواطنة تربيـة وممارسـة

" المواطنة يوتوبيا خلاقة تحاول جاهدة تجاوز الإثنية والعرقية، وهي بهذا ترمي عن طريق القانون حل الخلافات القائمة بين المجموعات الاجتماعية التي تتعارض مصـالحها، وهي رغم ذلك تسـتدعي مفهوم اللغة والتاريخ المشـتركين، ولا يمكنها أن تكون عقلانية خالصـة تحاول جاهدة الحفاظ على تنظيم سياسي مؤسس على الحق وفكرة الحرية والمساواة. والمواطنة أيضـاً أسـاس الشـرعية السـياسـية، فالمواطن لا يعد فقط فرداً في دولة القانون، بل يتمتع بجزء من السيادة السياسية "[1].

ركزت معظم دساتير الدول الحديثة ونظمها على تحديد ملامح المواطنة وحقوقها وشروطها، ودرجت هذه النظم لفترات طويلة على تحديد مواصفات المواطن وأبعاد المواطنة على ضوء منطلقات تستوعب مشارب الأمة ومنابع تفكيرها ومصادرها المرجعية المعتمدة تاريخياً وثقافياً ودينياً، وكذا على ضوء استراتيجيتها الخاصة. ولقد أدى ذلك إلى تعدد وتباين في الوثائق السياسية والتربوية من مجتمع لآخر في تحديد مفهوم المواطنة الصالحة[2].

---

(1) دومينيك شـنابر وكريسـتيان باشـولييه: **ما المواطنة**، ترجمة: سـونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد 2618، ط1، 2016.

(2) عثمان العامر: **المواطنة في الفكر الغربي المعاصـر – دراسـة نقدية من منظور إسـلامي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 19، العدد: 1، دمشق، 2003، ص(223).

ففي **المجتمعات الديموقراطية**، نجد أنها تسعى إلى ترسيخ قيم المواطنة لدى أفرادها عن طريق **التربية والتنشئة الاجتماعية**، على اعتبار أن المواطنة ليست مجموعة من القوانين والدساتير النظرية فقط، بل هي أيضاً تربية عملية بحاجة إلى تجسدها على أرض الواقع الاجتماعي، حيث يتم التعبير عنها عبر مجموعة من الممارسات التي توضح مدى احترام والتزام المجتمع السياسي بحقوق المواطنة.

أولاً- ماهية مفهوم المواطنة:

تحظى **فكرة المواطنة** باهتمام بالغ لدى علماء الاجتماع، باعتبارها وسيلة لاكتساب المكانة الاجتماعية في المجتمع العام وشرط ضروري حتى يصبح الفرد معترفاً به كفاعل ضمن الجماعة، وكذلك في الحياة الاجتماعية العامة[3].

يرتبط مفهوم **المواطنة** بمفهوم **الوطن** الذي يُعرّف لغوياً بأنه **المنزل الذي يقيم فيه الإنسان فهو وطنه ومحله**[4]. وكما يُعرّف اصطلاحياً بأنه **بشكل عام قطعة من الأرض التي تعمرها الأمة، وبشكل خاص هو المسكن فالروح وطن لأنها مسكن الإدراكات، والبدن وطن لكونه مسكن الروح، والثياب**

---

[3] أبو الفتوح بوهريرة: **قيم المواطنة وعلاقتها بتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطالب الجامعي**، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، العام الدراسي 2014- 2015، ص(31).

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، دار صاد للنشر والطبع، بيروت، الجزء: 15، ط2، 2000، ص(239).

وطن لكونها مسكن البدن، فالمنزل والمدينة والدولة والعالم كلها أوطان لكونها مساكن[5].

وفيما يتعلق بمفهوم المواطنة نجد أن تعريفاته تتعدد بتعدد زاوية الاقتراب منه، كما تتحدد دلالة المفهوم بارتباطه بالزمان والمكان بمعنى أن هذه الدلالة تتولد عبر صيرورة تاريخية تعبر عن مصالح اجتماعية، ويعتبر مفهوم المواطنة " **مفهوم منظومة** " يشير إلى الحقوق الإنسانية الأساسية، والحقوق المدنية والسياسية، الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فضلاً عن الحقوق الجماعية، وهي تتعلق بكافة مجالات النشاط الإنساني الشخصي والخاص والعام والسياسي[6].

تعرف **الموسوعة العربية العالمية** المواطنة بأنها " **اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمة أو وطن** ". وفي **قاموس علم الاجتماع** تم تعريفها على أنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون[7]. وينظر إليها أيضاً من **منظور**

---

[5] آمنة حجازي: **الوطنية المصرية في العصر الحديث**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2000، ص(80).

[6] علي عبد الراضي: **المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بالمواطنة**، دراسات اجتماعية، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، 11 يونيو 2018، ص(11).

[7] صلاح الدين محمد أبو الرب: **السياسة الاسلامية والاسلام السياسي**، دار الخليج ودار الهدى، عمان، ط1، 2017، ص(61).

نفسي بأنها الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية.

كما تُعرف المواطنة بشكل عام أنها المكان الذي يستقر فيه الفرد بشكل ثابت داخل الدولة أو يحمل جنسيتها ويكون مشاركاً في الحكم ويخضع للقوانين الصادرة عنها، ويتمتع بشكل متساوي دون أي نوع من التّمييز - كاللون أو اللغة - مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق، ويلتزم بأداء مجموعة من الواجبات تجاه الدولة التي ينتمي إليها، بما تُشعره بالانتماء إليها. ويترتب على المواطنة الديموقراطية أنواع رئيسية من الحقوق والحريات التي يجب أن يتمتع بها جميع المواطنين كالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخ...

وفي دائرة **المعارف البريطانية المواطنة** تعرف بأنها: **العلاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة**[8]. وتؤكد أيضاً بأنها تدل ضمنياً على مراتب من الحرية مع ما يصحبها من مسؤوليات، فالمواطنة على وجه العموم تسبغ على المواطن حقوقاً سياسية، مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة[9].

وتذكر **موسوعة الكتاب الدولي** أن المواطنة هي عضوية كاملة في دولة أو في بعض وحدات الحكم، بحيث لا تُميز بين المواطن والجنسية مثلها مثل دائرة

---

(8) **The New Encyclopaedia Britannica**: Volume:3, micropaedic, Library of congress, 15th edition, U.S.A 2003, p. (332).

(9) مجموعة مؤلفين: **المواطنة والديموقراطية في البلدان العربية**، تحرير: علي خليفة الكواري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001، ص(30).

المعارف البريطانية المشار إليها سابقاً. وتؤكد أن المواطنين لديهم بعض الحقوق، مثل حق التصويت وحق تولي المناصب العامة، وكذلك عليهم بعض الواجبات، مثل واجب دفع الضرائب والدفاع عن بلدهم[10].

ويتضح من هذه التعاريف أنه في الدول الديموقراطية يتمتع كل من يحمل جنسية الدولة من البالغين الراشدين بحقوق المواطنة فيها. وهذا الوضع ليس نفسه في الدول غير الديموقراطية إذ تكون الجنسية مجرد تابعية، لا تتوافر لمن يحملها بالضرورة حقوق المواطن السياسية، هذا إن توافرت هذه الحقوق أصلاً لأحد غير الحكام وربما للحاكم الفرد المطلق وحده[11]. والمواطنة في اللغة العربية مأخوذة من الوطن، أي المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، ويُقال وَطَنَ البلد: أي اتخذه وطناً، وجمع الوطن أوطان: منزل إقامة الإنسان، ولد فيه أم لم يولد.

أما في **الاصطلاح**، فالوطنية تأتي بمعنى **حب الوطن**، في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية، أما المواطنة فهي صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم

---

(10) المرجع السابق نفسه، ص(30).

(11) المرجع السابق نفسه، ص(31).

الخطط وتوضع الموازنات. يعني ذلك أن الوطنية تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن، ويوحي هذا المصطلح **بالتوحد مع الأمة**[12].

وتدل المواطنة في **القانون الدولي على الجنسية**، ويذهب هيد ***C. C. Hyde*** إلى أن التمييز بين المواطنة والجنسية وليد القانون الوطني، فالمواطنة تشير إلى الحقوق التي ترى الدولة أنه من المناسب منحها لبعض الأفراد الذين هم أيضاً من أهاليها. ويعبّر عن المواطنة بمفهومها السياسي من خلالها مضمونها القانوني ومرجعيتها القطعية إلى الجنسية. ويترتب عليها أن للمواطنين الحق شخصياً أو بواسطة من ينوب عنهم، في سن القوانين والحصول سواسية على الوظائف العامة. وتضمن عدم مضايقتهم بسبب آرائهم، حتى الدينية، ما دامت لا تخل بالنظام العام الذي رسمه القانون. كما تضمن لهم أيضاً حرية التحدث والكتابة وطباعة الآراء ونشرها[13].

يتضح من العرض السابق أن مبدأ المواطنة كما استقر في الفكر السياسي المعاصر هو مفهوم شامل له عدة أبعاد متنوعة، منها ما هو مادي قانوني، ومنها ما هو ثقافي سلوكي، ومنها أيضاً ما هو وسيلة أو هو غاية يمكن بلوغها تدريجياً، ولذلك إن نوعية المواطنة في دولة ما تتأثر بعدة عوامل منها القانون

---

[12] فريق التحرير: **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، ص(110).

[13] سيدي محمد ولديب: **الدولة وإشكالية المواطنة (قراءة في مفهوم المواطنة العربية)**، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2011، ص(50).

الوطني والنضج السياسي والرقي الحضاري. وبعقائد المجتمعات وبقيم الحضارات، ومن هنا يصعب وجود تعريف جامع وثابت لمبدأ المواطنة. إلا أنه يمكننا القول إن المواطنة حسب **هابرماس** ***Habermas*** هي علاقة بين المواطنة ودولته، إذ تتضمن علاقة اجتماعية ترتبط بالأدوار التي يؤديها الأفراد، وتفاعلهم مع الآخرين ومع الدولة التي يعيشون في كنفها، فالمواطنة لا تمنح، بل حق لكل من يعيش على أرض الوطن[14]. كما أن **المواطنة**: هي الالتزام بالواجبات من قبل الدولة والمواطن والمشاركة في تأديتها مع احترام القيم الاجتماعية والهوية الوطنية ليعود ذلك بنفع على البناء الاجتماعي وتماسك المجتمع لكي يحصل على الحقوق بشكل يضمن له الحياة الكريمة التي توفره الدولة لموطنيها [15]. وفي النهاية يمكننا القول من خلال ما سبق أن مفهوم المواطنة يستوعب وجود علاقة بين الدولة أو الوطن والمواطن، وأنها تقوم على الكفاءة الاجتماعية والسياسية للفرد، كما تستلزم المواطنة الفاعلة توافر صفات أساسية في المواطن تجعل منه شخصية مؤثرة في الحياة العامة، والقدرة على المشاركة في التشريع واتخاذ القرارات.

---

[14] أحمد زايد: **المواطنة والمسؤولية الاجتماعية مدخل نظري**، أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر (**المسؤولية الاجتماعية والمواطنة**)، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 16- 19 مايوه 2009، ص(20).

[15] علي عبد الراضي: **المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بالمواطنة**، مرجع سبق ذكره، ص(14).

ثانياً- دور التربية في ترسيخ ممارسة المواطنة لدى أفراد المجتمع:

شـهد العالم تطورات هائلة في شـتى المجالات، مما جعل معظم الدول تتجه إلى البحث عن كيفية إعداد أفرادها إعداداً سـليماً، وذلك بإمدادهم بالمعارف والمهارات والاتجاهات اللازمة لمسـايرة هذه التطورات بما يمكنهم من التصـدي إلى تحـديـات وأخـطـار يـمكـن أن تـواجـههم، بـل وتهـدد واقـعـهم وآمـالـهم وطموحاتهم.

ومن المعروف، أن التربية تسـهم إسـهاماً فاعلاً في بناء الإنسـان، فهي التي ترتقي به وتنمي فيه مواهبه فتجعله أداة فاعلة ومثمرة وقوة موجهة تبنى مجد الأمة وتصـنع حضـاراتها، وتربية الإنسـان ليسـت مجرد تزويده بكم وافر من المعرفة من خلال حشـو العقل الإنسـاني بمعلومات، وإنما الأمر يتعدى ذلك إلى تزويده بنسـق من القيم يسـهم في بناء الضـمير الإنسـاني وتوجيهه، بحيث يوجه سـلوكه ويضـبط تصـرفاته، وبالتالي فالمعرفة النظرية لابد أن تقترن بالممارسـة العملية، وأن تترجم إلى سـلوك وعمل يعود بالنفع والخير على الفرد والمجتمع [16].

بذلك تحتل **التربية مكانة متميزة بين العلوم الإنسـانية** باعتبارها تسـهم في تنمية القوى البشـرية التي تقوم عليها ركائز المجتمعات، فهي تهدف بصـفة أساسية إلى تطوير حياة الفرد والمجتمع في مختلف الجوانب، متأثرة بما يجرى

---

[16] هناء أحمد محمود عبد العال: **اتجاهات تربية المواطنة بالمدرسـة الثانوية بإنجلترا وإمكانية الإفادة منها في مصـر**، مجلة دراسـات تربوية واجتماعية، المجلد: 25، العدد: ديسـمبر ج4، كلية التربية، جامعة حلوان، القاهرة، 2019، ص(169)

من أحداث محلية أو قومية أو عالمية، يكون لها من التأثير ما يجعل الفرد يعيش ويوجه سلوكياته ومسارات تفكيره في اتجاهات معينة.

تعد المواطنة أحد الجوانب المهمة في حياة أي مجتمع، **فبدون مواطنين يدركون حقيقة دورهم في تنمية مجتمعهم لا يمكن لأي مجتمع أن ينمو ويتطور ويتقدم للأمام**. ويعتبر التعليم أفضل الوسائل في تنمية الشعور بالمواطنة الصالحة، وأطلق على عملية تنشئة الطلبة على المواطنة مصطلح " **التربية على المواطنة** "، والتعليم من أجل المواطنة بدأ بتلمس طريقه في معظم الأنظمة التربوية المتقدمة إيماناً بدور الأجيال المتعاقبة في ممارسة أدوار المواطنة الصحيحة والإيجابية والنشطة في المجتمع(17).

وإذا كان التعلّق العاطفي بالوطن يوجد لدى الإنسان بالفطرة، فإن الوعي بمقومات المواطنة، وما يتبعه من إحساس بالمسؤولية، والتزام بالواجبات نحو الوطن، يكتسب بالتعليم والتأهيل، عن طريق الأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والثقافة، والمجتمع، وإذا كانت كل هذه القنوات تتكامل أدوارها في إشباع الأجيال بقيم المواطنة، فإن النتائج لابد وأن تكون ملموسة في تسريع وتيرة ارتقاء المجتمع وتحضره.

وفي ضوء أحكام **الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل** المعتمدة سنة 1989، فإن الطفل الذي يجب أن يلج المدرسة، وأن يحظى بتنشئة اجتماعية في ظروف جيدة، لا يمكن النظر إليه كمجرد تلميذ ينبغي إعداده لكي يكون

(17) زينب بنت محمد الغريبية: **إستراتيجية لتعزيز التربية من أجل المواطنة في المدرسة الحديثة**، مجلة تنمية الموارد البشرية – العدد الحادي عشر، ديسمبر 2015، ص(6).

مواطناً في المستقبل، فهو مواطن في الأصل، وتربيته على المواطنة تعني تحضيره للمشاركة الفاعلة في خدمة وطنه، وتزويده بالمعارف والمهارات والقيم التي تؤهله لتحمل المسؤوليات في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وتُعده للمساهمة الإيجابية في تطوير المجتمع نحو الأفضل. **فالتربية على المواطنة** " هي كل ما يقدم للتلميذ من معارف وقيم ومهارات من أجل تكوين الفرد المواطن الواعي الممارس لحقوقه وواجباته والذي يشعر بالانتماء والارتباط بوطنه ويندمج فيه "[18]. أو هي " عملية تهدف إلى تزويد النشء بمجموعة من المعارف والقيم والاتجاهات والأفكار التي تختص بإعداد المواطن الذي يدرك ويمارس مسئوليته الاجتماعية نحو نفسه والآخرين والعالم أجمع، ويفهم العلاقة بين الحقوق والواجبات في إطار قانوني يستند إلى الولاء والانتماء للوطن الذي يعيش فيه، وذلك من خلال معلم كفء وإدارة ديمقراطية وأنشطة مدرسية وصفية تحقق الاحتكاك بالخبرات الاجتماعية الواقعية، وتهتم بالجوانب المعرفية والوجدانية والمهاراتية للمتعلم "[19]. كما أكد التربويون والسوسيولوجيون أن التربية للمواطنة هدفها تحقيق الديموقراطية، ونشر قيم الولاء والانتماء بين أفراد المجتمعات، وتعد الركيزة الأساسية لتحقيق المشاركة الإيجابية والفعالة [20].

---

[18] رحوي عائشة: **المدرسة والمواطنة**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، للعام الدراسي 2010/2009، ص(14).

[19] سناء علي أحمد يوسف: **تربية المواطنة لطلاب المرحلة الثانوية في ضوء التحديات المعاصرة: تصور مقترح**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، 2009، ص(8).

[20] رسمي عبد الملك: **دور الإدارة المدرسية في تفعيل التربية المدنية في مرحلة قبل الجامعي**، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 2001، ص(92).

ونلاحظ ذلك من خلال الاهتمام المتزايد في الدول الديموقراطية في غرب أوروبا بموضوع التربية على المواطنة، حيث تأسست لجان للتنسيق على مستوى الاتحاد الأوروبي في هذا المجال. ويحدد **المكتب الدولي للتربية**، مجموعة من **الأبعاد للتربية على المواطنة**، وهي كالآتي:

- " **المجال المعرفي**: لاكتســاب المعرفة والفهم والتفكير النقدي في ما خص القضايا العالمية والإقليمية والوطنية والمحلية والترابط والاعتماد المتبادل بين مختلف البلدان والسكان.

- **المجال الســلوكي**: اتخاذ إجراءات فعالة ومســؤولة على المســتويات المحلية والوطنية والعالمية من أجل عالم أكثر سلاماً واستدامة "[21].

- " **حقوق الإنسان**: كونية حقوق الإنسان، والمساواة في الكرامة، والانتماء إلى المجتمع. ويشــدد على الترابط الســياســي والاقتصــادي والاجتماعي والثقافي والترابط بين المستوى المحلي والوطني والعالمي.

- **الديموقراطية**: إعداد الفرد للحياة السياسية والمدنية.

- **التنمية**: إكساب اليافعين والشباب الكفاءات والمؤهلات الضرورية لمواكبة التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية لمحيطهم، ومقومات التنمية المستدامة.

---

[21] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: **التربية على المواطنة العالمية- مواضــيع وأهداف تعلمية**، اليونسكو، بيروت، 2015، ص(14 وما بعدها).

- **السلام**: كنتيجة وسيرورة المواطنة المستمدة من حقوق الإنسان، والهادفة للتنمية المستدامة" [22].

تهدف **التربية على المواطنة العالمية** إلى تشكيل قوة تحويلية، وبناء المعرفة والمهارات والقيم والسلوكيات التي يحتاج إليها المتعلمون ليتمكنوا من المساهمة في عالم أكثر اندماجاً وعدلاً وسلاماً. وتتبع التربية على المواطنة العالمية مقاربة متعددة الأوجه، مستخدمةً المفاهيم والمناهج المطبقة أصلاً في مجالات أخرى ومنها التثقيف في مجال حقوق الإنسان والتعليم من أجل السلام والتعليم من أجل التنمية المستدامة والتربية من أجل التفاهم الدولي وتهدف إلى تقدم الأهداف المشتركة. وتطبّق التربية على المواطنة العالمية منظوراً تعليمياً مدى الحياة، وتبدأ من مرحلة الطفولة، وتستمر خلال كل المراحل التعليمية حتى سن البلوغ، ما يتطلب مقاربات نظامية وغير نظامية، وتدخلات على مستوى المنهج وخارجه، والطرق التقليدية وغير التقليدية للمشاركة[23]. باختصار شديد تهدف إلى فتح أعين الناس وعقولهم على حقائق العولمة وتدفعهم للسعي لتحقيق عالم ينعم فيه الجميع بمزيد من العدالة والمساواة وحقوق الإنسان. كما تهدف إلى دعم **عملية التعليم** من أجل تحقيق التنمية والتوعية بحقوق الإنسان والتعليم من أجل الاستدامة والتعليم من أجل السلام ومنع نشوب الصراعات والتوعية حول التقارب بين

(22) محمد الخوالدة وريم تيسير: **التربية الوطنية (المواطنة والانتماء)**، دار الخليج، عمان، ط1، 2016، ص(24).

(23) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: **التربية على المواطنة العالمية- مواضيع وأهداف تعلمية**، مرجع سبق ذكره، ص(15).

الثقافات، والتي تشــكل مع بعضــها البعض ركائز البعد العالمي للتربية على المواطنة[24].

وفي سياق تقييم عملية التربية على المواطنة في معظم البلدان النامية نجد أنها تعاني من أسباب ومظاهر التخلف وبالأخص فيما يتعلق في التربية على المواطنة وممارساتها، وما يترتب عن ذلك من ضعف الإحساس بالمسؤوليات والالتزامات تجاه الوطن، وإذا كان من الممكن تبرير اقتران هذه الظاهرة السلبية بأشخاص لم يلجوا المدرسة، أو انقطعوا عنها في مستويات متدنية، فإنه من الغريب أن تقترن بأشخاص يُفترض أنهم من النخبة، بالنظر لمستوياتهم التعليمية، ومواقعهم المهنية والاجتماعية، والتزام الأفراد بمقومات المواطنة يرتبط بالسلوك الحضاري الذي قد يتحلى به أحياناً مواطن عادي ولو لم ينل حظه الكافي من التعليم، وقد لا يتحلى به شخص حاصل على شهادات عليا ويتحمل إحدى المسؤوليات الكبرى في الدولة[25].

" وعادةً ما يُرجى من تعليم المواطنة (التربية على المواطنة) أن يساعد الأفراد على أن يكونوا واثقين من أنفسهم، يواجهون التمييز والاستبعاد بشجاعة، ويكون لهم صوت في تقرير شؤون مجتمعهم، وأخيراً أن يكون لهم الحق في الإسهام في تطوير جودة الحياة في المجتمع، سواءً بالرأي أو الخبرة أو العمل

---

[24] مجموعة من المؤلفين: **الدليل التطبيقي للتربية من أجل المواطنة العالمية**، ترجمة: عفاف مبارك، طارق محضاوي، مركز الشمال – الجنوب لمجلس أوروبا، لشبونة، 2008، ص(14).

[25] محمد الخوالدة وريم تيسير: **التربية الوطنية (المواطنة والانتماء)**، مرجع سبق ذكره، ص(24).

الإبداعي والتطوعي... إلخ "[26]. ولكن من المؤسف أن نرى أشخاصاً **يرددون كلمة المواطنة كشعار**، ولا يترجمون في سلوكهم اليومي ما تفرضه المواطنة الحقيقية من واجبات والتزامات، كمن تسيطر عليهم الأنانية الذاتية فيعيشون لأنفسهم فقط، ويعتبرون أن الوطن يجب أن يوفر لهم ما يحتاجون إليه من خدمات عامة متنوعة دون أن يساهموا بأي عمل لصالح هذا الوطن، أو الذين يتهربون من أداء **الضرائب، أو يتعمدون الغش في نشاطهم المهني، أو يستغلون مواقع النفوذ للارتشاء وممارسة المحسوبية والزبونية، وتشجيع الوصولية، أو ينهبون المال العام، أو يستغلون الممتلكات العمومية لمصلحتهم الخاصة، أو يهربون الأموال إلى خارج البلاد، والذين يهمشون اللغة أو اللغات الوطنية، ويعملون على إحلال لغة أجنبية محلها، فلا يستعملونها للتعرف على الثقافات الأجنبية، وللتحاور مع الأجانب، وإنما يستعملونها في حياتهم اليومية، ويتحدثون بها داخل محيطهم الاجتماعي، ومع أبنائهم، وما يتبع ذلك من استلاب وتنكر للقيم وللثقافة الوطنية**[27].

ولذلك فإن التربية على المواطنة، فضلاً عما تتطلبه من توجيه سليم، وقدوة صالحة، داخل الأسرة والمجتمع، تتوقف على وحدة المدرسة، التي ترتكز على مبدأ أساسي وهو أن التربية والتعليم حق لكل طفل، وتضمن تكافؤ الفرص والمساواة بين جميع أبناء الوطن الواحد، سواء كانوا من أسر ميسورة أو فقيرة، أو كانوا من سكان الحواضر أو البوادي، وتتوحد في تلقين نفس المناهج التي

---

[26] سامح فوزي: **المواطنة**، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة تعليم حقوق الإنسان، القاهرة، ط1، 2007، ص(23).

[27] محمد الخوالدة وريم تيسير: **التربية الوطنية (المواطنة والانتماء)**، مرجع سبق ذكره، ص(25)

ترتبط بالمحيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولا تقتصر على إعطاء التلاميذ مجموعة من المهارات والمعلومات، وإنما تشبعهم بالإضافة إلى ذلك، بقيم المواطنة والديموقراطية وحقوق الإنسان، وتنمي لديهم الإحساس بالمسؤولية، وحب العمل الجماعي، وقبول الاختلاف، والتعايش مع الآخر، وتغذيهم بقيم التسامح، ونبذ العنف والإقصاء، والاعتدال وعدم التطرف، وأخذ المعرفة على أساس النسبية، وتعوّد التلاميذ على المناقشة والتحليل، واستعمال الفكر، والاحتكام إلى العقل في الاستنتاج، والتمرس بالتعبير عن الرأي، في إطار الحوار المنتج، وتحفزهم على الابتكار والمبادرة الشخصية، وتؤهلهم لولوج عالم المعرفة من أوسع أبوابها، والانفتاح على القيم الإنسانية الكونية[28].

نستنتج مما سبق، أن **المواطنة ليست صفة فطرية**، إنما هي **حق وأولوية مكتسبة** من خلال العمل التربوي الذي يتجسد عبر عملية التعليم لتصبح المواطنة ممارسة عملية في الحياة الاجتماعية، تتضمن الحقوق وحدودها، والواجبات وأنواعها، والهوية، والحرية، والعدالة، والمساواة، والعمل المدني، والانتخاب، والترشح، فهي قيم وعمليات تتطلب مرور الفرد بخبرات تعليمية تساعده على إدراك كيفية ممارسة المواطنة بشكل مثمر وفعال[29].

---

[28] المرجع السابق نفسه، ص(25-26).

[29] زينب بنت محمد الغريبية: **إستراتيجية لتعزيز التربية من أجل المواطنة في المدرسة الحديثة**، مرجع سبق ذكره، ص(30).

وهذا يفضي بنا إلى نتيجة، أنه لا يمكن تحقيق كل ذلك عن طريق مادة دراسية ضمن برامج التعليم، وإنما يتم ذلك عبر مناهج وطرق التعليم في مختلف المواد، ومن خلال أسلوب تعامل المعلمين والأساتذة مع التلاميذ، وبمشاركة هؤلاء في اختيار نظام تسيير القسم الدراسي، وتسيير المؤسسة التعليمية بصفةٍ عامةٍ، وذلك بواسطة ممثلين يختارونهم بطريقة ديموقراطية، وعندما تتوفر بالمدرسة كل الشروط والمواصفات المذكورة السابقة، يمكن أن نطلق عليها: (مدرسة المواطنة) [30].

وفي **معظم البلدان النامية** أصبح موضوع التربية على المواطنة خلال السنوات الأخيرة غير غائب عن الاهتمامات الرسمية ولكن في مستواه النظري فقط، ويتجلى ذلك من خلال بعض الخطب السياسية، وبرنامج التربية على حقوق الإنسان بالتعليمين الأساسي والثانوي، وميثاق برلمان الطفل الذي حدد من ضمن أهدافه " **التربية على الديموقراطية والمواطنة والتسامح** " غير أن حقيقة الواقع الذي تعيشه تلك البلدان نجد أنها ما زالت تعاني من التخلف بأشكال مختلفة، ويبدو أن هناك مسافة غير قصيرة ما زالت تفصلنا عن إقامة مدرسة المواطنة، بالشروط والمضامين المبينة أعلاه، لتصبح أبوابها مفتوحة أمام جميع أبناء الوطن دون أي تمييز، مع خلق مناخ ثقافي وإعلامي واجتماعي ملائم للتربية على المواطنة، ولا يمكن اجتياز هذه المسافة ببساطة، وإنما تحتاج إلى إرادة قوية وجهد كبير، يرتبط بشكل وثيق بالعمل على إقامة مجتمع ديموقراطي حقيقي في تلك البلدان.

---

[30] محمد الخوالدة وريم تيسير: **التربية الوطنية (المواطنة والانتماء)**، مرجع سبق ذكره، ص(26).

كما أثارت المشاكل البنيوية التي تعاني منها البلدان النامية بشكل عام والدول العربية بشكل خاص جدلاً سياسياً وثقافياً واسعاً تمحور بشكلٍ أساسي حول آليات ممارسة السلطة وحقوق المواطنة. ففي هذه البلدان أصبحت الدولة، المكلفة بإنجاز الاندماج الاجتماعي وترقية التطور الاقتصادي، القطب الأساسي الذي تدور حوله مجموع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، وتميزت في الغالب بخصائص أثرت سلباً وحدَّت من حقوق المواطنة:

- ضعف الضمانات القانونية.
- التأطير غير المعقلن لآليات العمل الديمقراطي.
- القوة المطلقة للأجهزة القمعية.
- الاستقواء ببعض الدول الغربية لإخضاع المواطنين وفرض ولائهم بالقوة.

وبدت الدولة كما لو أنها أداة هيمنة لإخضاع المجتمع. هذا النموذج من الدولة تميز أيضاً بتعايش عدة مبادئ متعارضة مع أسس المواطنة: هشاشة تطبيق استخدام العنف المُشرع، نسبية التمييز بين الخاص والعمومي، وأخيراً ثبات الولاء القلبي والعشائري والطائفي والمذهبي[31].

وهكذا يمكننا التحدث عن مفهوم المواطنة **بمعناه الشكلي لا الفعلي** في تلك البلدان، فالمُلاحِظ للمشهد السياسي العربي يجد أن مواطنة الإنسان

---

(31) سيدي محمد ولديب: **الدولة وإشكالية المواطنة (قراءة في مفهوم المواطنة العربية)**، مرجع سبق ذكره، ص(154).

العربي في هذه المجتمعات مازالت ناقصة؛ بسبب فشل العديد من الدول العربية في ضمان حقوق المواطنة الكاملة لمواطنيها وغياب الحوارات الفكرية المتواصلة والبناءة حول إمكانيات صياغة مفهوم خاص وجديد للمواطنة يواكب تحولات عصر العولمة (المهدد لمفهوم السيادة الوطنية) والإنجازات التكنولوجية الهائلة في عالم بات قرية صغيرة ومتجددة. **فكيف يمكن لنا التحدث في مجتمعاتنا - بما تعانيه من مشاكل وتحديات ومعوقات- عن مواطنة فاعلة تعبّر في معناها السياسي عن التماسك الاجتماعي والإنساني مع رفقاء وشركاء الوطن الواحد؟**[32].

وفي النهاية يمكننا القول إن المواطنة **مفهوم إنســاني** يتأثر بالحركة الدورية التي يعرفها البشــر، فيكون جنيناً في ذهن الفرد البشــري منصــهراً بالقيم المأمولة حســب الطبيعة، وينمو ويتطور تبعاً للمتغيرات الثقافية التي تعرفها الجماعة والمجتمعات الإنسانية، وتقييد مفهوم المواطنة بثقافة أو بعصر من العصور ليس إلا مغامرة فكرية، فالمواطنة القانونية الضيقة ليست إلا تعبيراً عن انتكاسة سياسية. وما يمكن استخلاصه هو أن مفهوم المواطنة بدأ مقيداً بجغرافيا والتزامات ســياســية معينة، ثم تحرر شــيئاً فشــيئاً من الانتماءات والتقيد بالمؤشــرات العقدية، ليصــبح بعدها مرهوناً بالمصــالح الاقتصــادية، وعليــه اعتقــد البعض أن مبــدأ المواطنــة في العصــــر الراهن يعــاني آلام

---

[32] نبيل صــموئيل وهاني عياد: **المواطنة – التحديات والطموحات في الدولة الحديثة**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2008، ص(17).

الاحتضار[33] بسبب وجود عدد من المعوقات، التي تحول دون ترسيخ مفهوم المواطنة على أرض الواقع الاجتماعي منها الاستبداد وانغلاق المجال السياسي، وغياب ثقافة الديموقراطية، وانتشار ظاهرة الاغتراب ***ALIENATION*** ، وهي عبارة عن شعور المواطن بعدم الانتماء أو فقدان الشعور بالانتماء إلى موطنه، خصوصاً حين يطغى الحرمان والتذمر ومواجهة معوقات اجتماعية وسياسية تحول دون ترسيخ المواطنة والانتماء[34]. وأخيراً، هناك عائق معاصر يتمثل بحرص كثير من القوى السياسية والاجتماعية على التحكم بالمجتمع والسيطرة عليه واعتبار الفرد جندياً من جنود هذه الفئة أو تلك، بدلاً من العمل على تمكين المجتمع وبناءه بناءً يمكنه من تحمل مسؤوليته بنفسه والمطالبة بحقوقه والقيام بواجباته، لا أن تكون هناك فئة تنوب عن المجتمع في ذلك. فدولة المواطنة تنسجم انسجاماً كاملاً مع فكرة المجتمع الحي بعيداً عن فكرة التكتلات التي تتصدر دائماً لتمثيل المجتمع وتسويق أفكارها وكأنها خيارات الشعوب.

خلاصة القول إن مفهوم المواطنة مجموعة من الحقوق والواجبات التي يقرها المجتمع الديموقراطي باعتباره الحاضنة الأساسية لتجسيد مفهوم المواطنة على المستوى التربوي والتطبيقي، ومن خلال التحليل السوسيولوجي لمعاني المواطنة نجد أنها الأداة الأساسية لبناء مجتمع المواطنة القائم على

---

[33] شريف الدين بن دوبه: **المواطنة مفهومها جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية**، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط1، 2019، ص(110-112).

[34] خالد أحمد الطراح: **المواطنة والانتماء**، جريدة القبس، الكويت، كتاب وآراء، 30 أبريل 2017. https://www.alqabas.com/article/388817

تحقيق المســـاواة في الحقوق والواجبـات بين أفراد المجتمع الواحـد، وعلى الاحترام المتبادل والتعايش السلمي وقبول الآخر. وهذا لا يتحقق إلا من خلال عملية التربية على المواطنة التي تعتبر من أهم العمليات في ترســيخ ممارســة المواطنـة لـدى أفراد المجتمع ليكونوا واثقين من أنفســهم، يواجهون التمييز والاستبعاد الاجتماعي، وفي تقرير شؤون مجتمعهم.

وفي الختام نرى أن مفهوم المواطنة بدأ مقيداً **بمناطق جغر افية والتزامات ســياســية معينة**، إلا أنـه تحرر شــيئاً فشــيئاً من الانتماءات الـدينيـة والإيديولوجية، ليصبح بعدها مرهوناً بالمصالح الاقتصادية، وعليه نعتقد أن مبدأ المواطنة في الوقت المعاصر يعاني من مشاكل عديدة (بالأخص في البلدان النامية)، التي تحول دون ترســيخ مفهوم المواطنة على أرض الواقع الاجتماعي منها الاســتبداد وانغلاق المجال الســياســي، وغياب ثقافة الديموقراطية، وفقدان الشــعور بالانتماء إلى الوطن، وغياب العدالة الاجتماعية وانتشــار الفساد والمحسوبية.

- المراجع المعتمدة:

1. دومينيك شنابر وكريستيان باشولييه: **ما المواطنة**، ترجمة: سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد 2618، ط1، 2016.
2. عثمان العامر: **المواطنة في الفكر الغربي المعاصر– دراسة نقدية من منظور إسلامي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد: 19، العدد: 1، دمشق، 2003.
3. أبو الفتوح بوهريرة: **قيم المواطنة وعلاقتها بتعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطالب الجامعي**، رسالة دكتوراه، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير بسكرة، الجزائر، العام الدراسي 2014- 2015.
4. ابن منظور: **لسان العرب**، دار صاد للنشر والطبع، بيروت، الجزء: 15، ط2، 2000.
5. آمنة حجازي: **الوطنية المصرية في العصر الحديث**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2000.
6. علي عبد الراضي: **المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بالمواطنة**، دراسات اجتماعية، المعهد المصري للدراسات، إسطنبول، 11 يونيو 2018.
7. مجموعة مؤلفين: **المواطنة والديموقراطية في البلدان العربية**، تحرير: علي خليفة الكواري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2001.
8. (1) فريق التحرير: **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.
9. سيدي محمد ولديب: **الدولة وإشكالية المواطنة (قراءة في مفهوم المواطنة العربية)**، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2011.
10. أحمد زايد: **المواطنة والمسؤولية الاجتماعية مدخل نظري**، أعمال المؤتمر السنوي الحادي عشر (**المسؤولية الاجتماعية والمواطنة**)،المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 16- 19 مايوه 2009.

11. هناء أحمد محمود عبد العال: **اتجاهات تربية المواطنة بالمدرسة الثانوية بإنجلترا وإمكانية الإفادة منها في مصر**، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، المجلد: 25، العدد: ديسمبر ج4، كلية التربية، جامعة حلوان، القاهرة، 2019.

12. زينب بنت محمد الغريبية: **إستراتيجية لتعزيز التربية من أجل المواطنة في المدرسة الحديثة**، مجلة تنمية الموارد البشرية – العدد الحادي عشر، ديسمبر 2015.

13. رحوي عائشة: **المدرسة والمواطنة**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، للعام الدراسي 2010/2009.

14. سناء علي أحمد يوسف: **تربية المواطنة لطلاب المرحلة الثانوية في ضوء التحديات المعاصرة: تصور مقترح**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، 2009.

15. رسمي عبد الملك: **دور الإدارة المدرسية في تفعيل التربية المدنية في مرحلة قبل الجامعي**، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، القاهرة، 2001.

16. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: **التربية على المواطنة العالمية- مواضيع وأهداف تعلمية**، اليونسكو، بيروت، 2015.

17. محمد الخوالدة وريم تيسير: **التربية الوطنية (المواطنة والانتماء)**، دار الخليج، عمان، ط1، 2016.

18. مجموعة من المؤلفين: **الدليل التطبيقي للتربية من أجل المواطنة العالمية**، ترجمة: عفاف مبارك، طارق محضاوي، مركز الشمال – الجنوب لمجلس أوروبا، لشبونة، 2008.

19. سامح فوزي: **المواطنة**، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، سلسلة تعليم حقوق الإنسان، القاهرة، ط1، 2007.

20. نبيل صموئيل وهاني عياد: **المواطنة – التحديات والطموحات في الدولة الحديثة**، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2008.

21. شـريف الـدين بن دوبـه: **المواطنـة مفهومها جـذورها التاريخيـة وفلسـفتها السياسية**، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط1، 2019.
22. خالد أحمد الطراح: **المواطنة والانتماء**، جريدة القبس، الكويت، كتاب وآراء، 30 أبريل 2017. https://www.alqabas.com/article/388817
23. صلاح الدين محمد أبو الرب: **السياسة الاسلامية والاسلام السياسي**، دار الخليج ودار الهدى، عمان، ط1، 2017.

الدكتور حسام الدين فياض الأستاذ المساعد في النظرية السوسيولوجية المعاصرة (دكتوراه دولة) باحث وأكاديمي في العلوم الثقافية واللغويات واللسانيات الاجتماعية. له العديد من الأبحاث العلمية والمقالات الفكرية التي تجمع بين النظرية السوسيولوجية النقدية، والفكر الاجتماعي، والثقافي المعاصر.

ولد في **مدينة حلب** عام 1980. درس الليسانس في جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم علم الاجتماع وتخرج منها عام 2004، حصل على دبلوم الدراسات العليا السكانية عام 2005 في كلية الاقتصاد جامعة حلب، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا علم الاجتماع العام عام 2006 في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة دمشق. وفي عام 2006 عُيِنَ معيداً في قسم علم الاجتماع كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة حلب باختصاص (النظريات السوسيولوجية المعاصرة). حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة عين شمس في جمهورية مصر العربية. ويعمل حالياً في قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة **ماردين ارتوقلو (تركيا)**.

" كل أسلوب والدي يترك بصمة في سلوكيات الطفل وطريقة إدراكه للعالم " (الكاتب).

نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

@ enlightenment980@gmail.com